يستدعونه الى غزنة ويملّكونه وكثر بينهم الاختلاف حتّى كادوا يختلفون فتوصّل مؤيّد الملك مع الغوريّة حتّى اذنوا له وللاتراك باخذ الخزانة والحقّة التى فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا ثم على طريق مكران ولقى الوزير ومن معه مشقّة عظيمة وخرج عليهم الامم الذين فى تلك الجبال التيراهيّة واوغان وغيرهم فنالوا من اطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج اليهم تاج الدين الدُز يستقبلهم فلمّا عاين الحقّة وفيها شهاب الدين ميّتًا نزل وقبّل الارض على عادته فى حياة شهاب الدين وكشف عنه فلمّا رءاه ميّتًا مزّق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يومًا مشهودًا ☆

ذكر ما فعله الدُز

كان الدُز من اوّل مماليك شهاب الدين واكبرهم واقدمهم واكبرهم محلًّا عنده بحيث انّ اهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه فى اشغالهم فلمّا قُتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاوّل ما عمل انّه سال الوزير مؤيّد الملك عن الاموال والسلاح والدوابّ فاخبره بما خرج من ذلك وبالباقى معه فانكر الحال واساء ادبه فى الجواب وقال انّ الغوريّة قد كاتبوا بهاء الدين سام[1] صاحب بامیان[2] ليُملكوه غزنة وقد كتب الىّ غياث الدين محمود وهو مولاى يامرنى انّى لا اترك احدًا يقرب من غزنة وقد جعلنى نايبه فيها وفى ساير الولاية المجاورة لها لانّه مشتغلٌ بامر خراسان وقال للوزير انّه قد امرنى ايضًا ان اتسلّم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع لميل الاتراك اليه فسلّمها اليه وسار بالحقّة والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين فى التربة بالمدرسة التى انشاها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة ☆

ذكر بعض سيرة شهاب الدين

كان رحمه الله شجاعًا مقدامًا كثير الغزو الى بلاد الهند عادلًا فى رعيّته حسن السيرة فيهم حاكمًا بينهم بما يوجبه الشرع المطهّر وكان القاضى بغزنة يحضر داره كلّ اسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر

(1 سامة (2 مامان

معه امير حاجب وامير دار وصاحب التربة فيحكم القاضي واصحاب السلطان ينفذون احكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب احد الخصوم الحضور عنده احضره وسمع كلامه وامضى عليه او له حكم الشرع فكانت الامور جارية على احسن نظام ، حُكي عنه انّه لقيه صبيّ علويّ عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لي خمسة ايّام ما اكلتُ شيأً فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبيّ فنزل في داره واطعم العلويّ اطيب الطعام بحضرته ثمّ اعطاه مالاً بعد ان احضر اباه وسلّمه اليه وفرّق في ساير العلويّين مالاً عظيمًا ، وحُكي انّ تاجرًا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دينٌ مبلغه عشرة الاف دينار فقُتل المملوك في حربٍ كانت له فرفع التاجر حاله فامر بان يقرّ اقطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفي دينه ففُعل ذلك ، وحُكي عنه انّه كان يحضر العلماء بحضرته فيتكلّمون من المسايل الفقهيّة وغيرها وكان فخر الدين الرازيّ يعظ في داره فحضر يومًا فوعظ وقال في اخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازيّ وانّ مردّنا الى اللّه فبكى شهاب الدين حتّى رحمه الناس لكثرة بكآيه وكان رقيق القلب وكان شافعيّ المذهب مثل اخيه قيل وكان حنفيًّا واللّه اعلم ☆

ذكر مسير بهآء الدين سام الى غزنة وموته

لمّا ملك غياث الدين ابو الفتح محمّد بن سام باميان اقطعها ابن عمّه شمس الدين محمّد بن مسعود وزوّجه اخته فاتاه منها ولدٌ اسمه سام فبقي فيها الى ان توفّي وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عبّاس وامّه تركيّة فغصب غياث الدين واخوه شهاب الدين في ذلك وارسلا مَن احضر عبّاسًا عندهما فاخذا الملك منه وجعلا ابن اختهما سام ملكًا على باميان وتلقّب بهآء الدين ، وعظم شانه ومحلّه وجمع الاموال ليملك البلاد بعد خاله واحبّه امرآء الغوريّة حُبًّا شديدًا وعظّموه فلمّا قُتل خاله شهاب الدين سار بعض الامرآء الغوريّة الى بهآء الدين سام فاخبره بذلك فلمّا بلغه قتله كتب الى مَن بغزنة من الامرآء الغوريّة يامرهم

الدولة (١

بحفظ البلد ويعرّفهم انّه على الطريق ساير اليهم وكان والى قلعة غزنة ويعرف بامير دار قد ارسل ولدَه الى بهآء الدين سام يستدعيه الى غزنة فاعاد جوابه انّه تجهّز ويصل اليه ويعده الجميل والاحسان وكتب بهآء الدين الى علآء الدين محمّد بن ابى علىّ ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل[2] والى هراة يامرها باقامة الخطبة له وحفظ ما بايديهما من الاعمال ولم يظنّ انّ احدًا يخالفه فاقام اهل غزنة ينتظرون وصوله او وصول غياث الدين محمود والاتراك ويقولون لا نترك غيرَ ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغوريّة يتظاهرون بالميل الى بهآء الدين ومنع غيره فسار من بامبان الى غزنة فى عساكره ومعه ولداه علآء الدين محمود وجلال الدين فلمّا سار عن بامبان مرحلتَيْن وجد صُداعًا فنزل يستريح ينتظر خفّته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فايقن بالموت فاحضر ولدَيْه وعهد الى علآء الدين وامرها بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغوريّة وضبط الملك وبالرفق بالرعايا وبذل الاموال وامرها ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند ☆

ذكر مُلك علآء الدين غزنة واخذها منه

لمّا فرغ بهآء الدين من وصيّته توفّى فسارا ولداه الى غزنة فخرج امرآء الغوريّة واهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كره منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علآء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهلّ رمضان وكانوا قد وصلوا فى ضرّ وقلّة من العسكر واراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيّد المُلك وزير شهاب الدين لقلّتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل[1] والى هراة على ما نذكره فلم يرجعوا ولمّا استقرّا بالقلعة ونزلا بدار السلطانيّة راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والّا قاتلوهما ففرّقا فيهم اموالًا كثيرة واستخلفاهم فخلفوا واستبوا[2] غياث الدين محمود وانفذا خلعًا الى تاج الدين الدُز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة فى الاقطاع وامارة الجيش والحكم فى جميع الممالك فاتاه الرسول

(1 خرميل (2 واستبوا

فلقيه وقد سار عن كرمان فى جيش كثير عن الترك والخلج والغز وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فانى قد امرنى مولاى غياث الدين ان اسير الى غزنة وامنعهما عنها فان عادا الى بلدهما والّا فعلتُ بهما وبمن معهما ما يكرهون وردّ ما معهما من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانّما اراد ان يجعل هذا طريقًا الى مُلك غزنة لنفسه ، فعاد الرسول وابلغ علآء الدين رسالة الدُز فارسل وزيره وكان قبله وزير ابيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من بلادهم ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدز الى الاتراك الذين بغزنة يعرّفهم انّ غياث الدين امره ان يقصد غزنة ويُخرج علآء الدين واخاه منها فحضروا عند وزير علآء الدين وطلبوا منه سلاحًا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علآء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدر يفعل شيأً وسمع مؤيّد الملك وزير شهاب الدين فركب وانكر على الخازن تسليم المفاتيح وامره واستردّ ما نهبه الترك جميعه لانّه كان مطاعًا فيهم ، ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علآء الدين جماعة من الغوريّة ومن الاتراك وفيهم صونج[1] صهر الدُز فاشار عليه اصحابه ان لا يفعل وينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسيّر العساكر فالتقوا خامس رمضان فلمّا لقوه خدعه الاتراك وعادوا معه على عسكر علآء الدين له فقاتلوهم فهزموهم واسروا مقدّمهم وهو محمّد بن علىّ بن خردون ودخل عسكر الدُز المدينة فنهبوا بيوت الغوريّة والبامانيّة وحصر الدُز القلعة فخرج جلال الدين منها فى عشرين فارسًا وسار عن غزنة فقالت له امراة تستهزى به الى اين تمضى خذ الجتر[2] والشمسة معك ما اقبح خروج السلاطين هكذا . فقال لها انّك سترين ذلك اليوم وافعل بكم ما تقرّون به بالسلطنة لى وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان اتيك بالعساكر ، فبقى الدُز يحاصرها واراد مَن مع الدُز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وارسل الى علآء الدين يامره بالخروج من القلعة وتهدّده ان لم يخرج منها وتردّدت الرسل بينهما فى ذلك

(1 صونجر (2 الخمر

فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وارسل مَن حلّف له الدُز ان لا يوذيه ولا يعترض اليه ولا الى احد ممّن يحلف له وسار عن غزنة ، فلمّا رءاه الدُز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علآء الدين والقوه عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانًا بسرويله فلمّا سمع الدُز ذلك ارسل اليه بدوابّ وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما لبسه وترك الباقى فلمّا وصل الى باميان لبس ثياب سواد وركب حمارًا فاخرجوا له مراكب ملوكيّة وملابس جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد يرانى الناس وما صنع بى اهل غزنة حتّى اذا عُدتُّ اليها خرّبتُها ونهبتُها لا يلومنى احد ودخل دار الامارة وشرع فى جمع العساكر ۞

ذكر مُلك الدُز غزنة

قد ذكرنا استيلآء الدُز على الاموال والسلاح والدوابّ وغير ذلك ممّا كان صحبة شهاب الدين واخذه من الوزير مؤيّد الملك ، فجمع به العساكر من انواع الناس الاتراك والخلج والغُزّ وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علآء الدين ما ذكرنا فلمّا خرج علآء الدين من غزنة اقام الدُز بداره اربعة ايّام يُظهر طاعة غياث الدين الّا انّه لم يامر للخطيب بالخطبة له ولا لغيره وانّما يخطب للخليفة ويترحّم على شهاب الدين الشهيد حسبُ ، فلمّا كان فى اليوم الرابع احضر مقدّمى الغوريّة والاتراك ونمّ مَن كاتب علآء الدين واخاه وقبض على امير دار والى غزنة فلمّا كان الغد وهو سادس عشر رمضان احضر القضاة والفقهآء والمقدّمين واحضر ايضًا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علىّ بن الربيع الفقيه الشافعىّ مُدرّس النظاميّة ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولاً الى شهاب الدين فقُتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل انبه والى قاضى غزنة يقول له انّى اريد انتقل الى دار السلطانيّة وان اخاطب بالملك ولا بُدّ من حضورك والمقصود من هذا ان تستقرّ امور الناس فحضر عنده فركب الدُز والناس فى خدمته وعليه ثياب الحزن وجلس فى الدار فى غير

---

١) الدين

مجلس الذى كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيّرت لذلك نيّات كثير من الاتراك لانّهم كانوا يطيعونه ظنًّا منهم انّه يريد الملك لغياث الدين فحيث رءاوه يريد الانفراد تغيّروا عن طاعته حتّى انّ بعضهم بكى غيظًا من فعله واقطع الاقطعات الكثيرة وفرّق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فانفوا من خدمة الدُز وطلبوا منه ان يقصد خدمة غياث الدين واخيه صاحبَىْ باميان وارسل غياث الدين الى الدُز يشكره ويثنى عليه لاخراج اولاد بهآء الدين من غزنة وسيّر له الخلع وطلب منه الخطبة والسكّة فلم يفعل واعاد الجواب فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرقّ لانّ غياث الدين ابن اخى سيده لا وارث له سواه وان يزوّج ابنه بابنة الدُز فلم يجبه الى ذلك واتّفق انّ جماعة من الغوريّين من عسكر صاحب باميان اغاروا على اعمال كرمان وسوران وهى اقطاع الدُز القديمة فغنموا وقتلوا فارسل صهره صونج[1] فى عسكر فلقوا عسكر الباميان فظفر بهم وقتل منهم كثيرًا وانفذ رؤسهم الى غزنة فنُصبت بها واجرى الدُز فى غزنة رسوم شهاب الدين وفرّق فى اهلها اموالاً جليلة المقدار والزم مؤيّد الملك ان يكون وزيرًا له فامتنع من ذلك فالحّ عليه فاجابه على كُرْه منه فدخل على مؤيّد الملك صديقٌ له يهنّيه فقال بما ذا تهنّيني من بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

ومَن ركب الثور بعد الجواد انكر اطلاقه والغبب

بينا الدُز ياتى الى بابى الف مرّة حتّى اذن له فى الدخول اصبح على بابه ولو حفظ النفس مع هولآء الاتراك لكان لى حكمٌ اخر ۞

ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمّه

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانّه كان فى اقطاعه وهو بُست واسفزار[2] وكان الملك علآء الدين بن محمّد بن ابى علىّ قد ولّاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض الراون فلمّا بلغه قتله سار الى فيروزكوه خوفًا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد

---

[1] صوبح [2] اسفزان

وياخذ الخزاين التى بها وكان علآء الدين حسن السيرة من اكابر بيوت الغوريّة الّا انّ الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وابا الامرآء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين سلطانهم ولانّه كان كراميًّا مغاليًا فى مذهبه واهل فيروزكوه شافعيّة والزمهم ان يجعلوا الاقامة مثنى فلمّا وصل الى فيروزكوه احضر جماعة من الامرآء منهم محمّد المرغنىّ واخوه ومحمّد بن عثمان وهم من اكابر الامرآء وحلّفهم على مساعدته على قتال خوارزم شاه وبهآء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارًا له فحلفوا له ولولده من بعده وكان غياث الدين بمدينة بُست لم يتحرّك فى شئ انتظارًا لما يكون من صاحب باميان لانّهما كانا قد تعاهدا ايّام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند لبهآء الدين وكان بهآء الدين اقوى فلهذا لم يفعل شيأً فلمّا بلغه خبر موت بهآء الدين جلس على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلّف الامرآء الذين قصدوه وهم اسمعيل الخلجىّ وسونج امير اشكار[1] وزنكى ابن خرجوم[2] وحسين الغورىّ صاحب تكيباباذ[3] وغيرهم وتلقّب بالقاب ابيه غياث الدين وكتب الى علآء الدين محمّد بن ابى علىّ وهو بفيروزكوه يستدعيه اليه ويستعطفه ليصدّه عن رايه ويسلّم مملكته اليه وكتب الى الحسين بن خرميل[4] والى هراة مثل ذلك ايضًا ووعده الزيادة فى الاقطاع فامّا علآء الدين فاغلظ له فى الجواب وكتب الى الامرآء الذين معه يتهدّدهم فرحل غياث الدين الى فيروزكوه فارسل علآء الدين عسكرًا مع ولده وفرّق فيهم مالًا كثيرًا وخلع عليهم ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبًا من فيروزكوه فلمّا تراءى الجمعان كشف اسمعيل الخلجىّ المغفر عن وجهه وقال الحمد لله اذ الاتراك الذين لا يعرفون آباءهم لم يضيّعوا حقّ التربيّة وردّوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغوريّة الذين انعم عليكم والدُ هذا السلطان وربّاكم واحسن اليكم كفرتم الاحسان وجيتم تقاتلون ولده اهذا فعل الاحرار فقال محمّد المرغنىّ وهو مقدّم العسكر الذين يصدرون عن رايه لا والله ثمّ ترجّل عن

---

[1]) C. P.: شكا 740: سكار [2]) C. P. 740: بن حرجوم Ups.: حرجوم [3]) *Defrémery.* Codd. تكباباد [4]) جرميل

فرسه وانثنى سلاحه وقصد غياث الدين وقبّل الارض بين يديه وبكى بصوت عالٍ وفعل ساير الامرآء كذلك فانهزم اصحاب علآء الدين مع ولده، فلمّا بلغه الخبر خرج عن فيروزكوه هاربًا نحو الغور وهو يقول انا امشى اجاور بمكّة فانفذ غياث الدين خلفه مَن ردّه اليه فاخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به اهل البلد وقبض غياث الدين على جماعة من اصحاب علآء الدين الكراميّة وقتل بعضهم ولمّا دخل غياث الدين فيروزكوه ابتدا بالجامع فصلّى فيه ثمّ ركب الى دار ابيه فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته وقدم عليه عبد الجبّار بن محمّد الكيرانىّ وزير ابيه واستوزره وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ولمّا فرغ غياث الدين من علآء الدين لم يكن له همّة الّا ابن خرميل بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتّخذه ابًا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضى هراة صاعد بن الفضل النيسابورىّ وعلىّ بن عبد الخلّاق بن زياد مدرّس النظاميّة بهراة وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويّين ومقدّمى الحال وقال لهم قد بلغنى وفاة السلطان شهاب الدين وانا فى بحر خوارزم شاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا لى على المساعدة على كلّ من نازعنى فاجابه القاضى وابن زياد باتّنا نحلف على كلّ الناس الّا ولد غياث الدين فحقد عليهما فلمّا وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فغالطه فى الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزم شاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرًا ليصير فى طاعته ويمتنع به على الغوريّة فطلب منه خوارزم شاه انفاذ ولده رهينةً ويرسل اليه عسكرًا فسيّر ولده الى خوارزم شاه فكتب خوارزم شاه الى عسكره الذين بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يامرهم بالتوجّه الى هراة وان يكونوا يتصرّفون بامر ابن خرميل ويمتثلون امره هذا وغياث الدين يُتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتجّ بشئ بعد شئ انتظارًا لعسكر خوارزم شاه ولا يؤيسه من طاعته ولا يخطب له ويطيعه طاعة غير مستوية ثمّ ان الامير علىّ بن ابى علىّ صاحب كالوين اطلع غياث الدين على حال ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجّه الى هراة فثبّطه بعض الامرآء الذين معه واشاروا

عليه بانتظار اخر امره وترك محاققته ، واستشار ابن خرميل القاضي في امر غياث الدين فقال له علي بن عبد الخلاق ابن زياد مدرّس النظاميّة بهراة وهو متولّي وقوف خراسان التي بيده للغوريّة جميعها ينبغي ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك المغالطة انّي اخاف على نفسي فامض انت وتوثّق لي منه وكان قصده ان يُبعده عن نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل بفعله من الغدر به والميل الى خوارزم شاه وحثّه على قصد هراة وقال له انا اسلّمها اليك ساعة تصل اليها ووافقه بعض الامرآء وخالفه غيرهم وقال ينبغي ان لا تترك له حجّة فترسل اليه تقليداً بولاية هراة ففعل ذلك وسيّره مع ابن زياد وبعض اصحابه ، ثمّ انّ غياث الدين كاتب اميران بن قيصر صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقّف وارسل الى صاحب مرو ليسير اليه فتوقّف ايضاً فقال له اهل البلد ان لم تُسلم البلد الى غياث الدين وتتوجّه والّا سلّمناك وقيّدناك وارسلناك اليه فاضطرّ الى المجيء الى فيروزكوه فخلع عليه غياث الدين واقطعه اقطاعات شتّى واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بامير اشكار ۞

ذكر استيلآء خوارزم شاه على بلاد الغوريّة بخراسان

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والي هراة خوارزم شاه ومراسلته في الانتمآء اليه والطاعة له وترك طاعة الغوريّة وخداعه لغياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة انتظاراً الوصول عسكر خوارزم شاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال يوم الجمعة نخطب له فاتّفق قرب عسكر خوارزم شاه منه فلمّا كان يوم الجمعة قيل له في معنى الخطبة فقال نحن في شغل اهمّ منها بوصول هذا العدوّ فطالت المجادلات بينهم في ذلك وهو مُصِرّ على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزم شاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم على باب البلد فقالوا له قد أمّرنا خوارزم شاه انّنا لا نخالف لك امراً فشكرهم على ذلك وكان يخرج اليهم كلّ يوم واقام لهم الوظايف الكثيرة واتاه الخبر انّ خوارزم شاه نزل على بلخ فحاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم ينزل بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ فندم ابن خرميل على طاعة خوارزم شاه وقال لخواصّه لقد اخطانا حيث

صرنا مع هذا الرجل فانّى اراه عاجزًا وشرع فى اعادة العسكر فقال للامرآء انّ خوارزم شاه قد ارسل الى غياث الدين يقول له انّنى على العهد الذى بيننا وانا اترك ما كان لابيك بخراسان والمصلحة ان ترجعوا حتّى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة وكان غياث الدين حيث اتّصل به وصول عسكر خوارزم شاه الى هراة فاخذ اقطاع ابن خرميل وارسل الى كرزبان[1] واخذ كلّ ما له بها من مال واولاد ودوابّ وغير ذلك واخذ اصحابه فى القيود واتاه كتب من يميل اليه من الغوريّة يقولون له ان رءاك غياث الدين قتلك ، ولمّا سمع اهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وما له عزموا على قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بانفاذ مَن يتسلّم البلد وكتب القاضى صاعد قاضى هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك ، فلمّا سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله وبما عزم عليه اهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضى واحضر اعيان البلد وألان لهم القول وتقرّب اليهم واظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددتُ عسكر خوارزم شاه واريد ارسل رسولاً الى غياث الدين بطاعتى والذى اوثره منكم ان تكتبوا معه كتابًا بطاعتى فاستحسنوا قوله وكتبوا له بما طلب وسيّر رسوله الى فيروزكوه وامره اذا جنّه الليل ان يرجع على طريق نيسابور يلحق عسكر خوارزم شاه ويجدّ السير فاذا لحقهم ردّهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومَيْن من هراة فامرهم بالعود فعادوا فلمّا كان اليوم الرابع من سير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلمّا دخلوا اخذ ابن زياد الفقيه فسَمّله واخرج القاضى صاعدًا من البلد فسار الى غياث الدين بفيروزكوه واخرج مَن عنده من الغوريّة وكلّ مَن يعلم انّه يريدهم وسلّم ابواب البلد الى الخوارزميّة ، واما غياث الدين فانّه برز [من] فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرًا فاخذوا حشيرًا كان لاهل هراة فخرج الخوارزميّة فشنّوا الغارة على هراة الروذ وغيره فامر غياث الدين عسكره بالتقدّم الى هراة وجعل المقدّم

---

[1]) Semper حرزبان

عليهم علىّ بن ابى علىّ واقام هو بفيروزكوه لمّا بلغه انّ خوارزم شاه على بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن قيصر الذى كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرّفه انّه على اليزك ويامره بالمجئ اليه فانّه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل فى عسكره فكبس عسكر غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتّى خالطوهم فقتلوا فيهم فكفّ ابن خرميل اصحابه عن الغوريّة خوفًا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجىّ واقام بمكانه وارسل عسكره فشنّوا الغارة على البلاد بادغيس وغيرها ، وعظم الامر على غياث الدين فعزم على المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر انّ علآء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الدز ، واما بلخ فانّ خوارزم شاه لمّا بلغه قتل شهاب الدين اخرج مَن كان عنده من الغوريّين الذين كان اسرهم فى المصاف على باب خوارزم فخلع عليهم واحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال انّ غياث الدين اخى ولا فرق بينى وبينه فمَن احبّ منكم المقام عندى فليقم ومَن احبّ ان يسير اليه فانّنى اسيّره ولو اراد منّى مهما اراد نزلتُ له عنه وعهد الى محمّد بن علىّ بن بشير وهو من اكابر الامرآء الغوريّة فاحسن اليه واقطعه استمالة للغوريّة وجعله سفيرًا بينه وبين صاحب بلخ فسيّر اخاه علىّ شاه بين يديه فى عسكره الى بلخ فلمّا قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغورىّ اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل الى اخيه خوارزم شاه يُعلمه قوّتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلمّا وصل الى بلخ خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقوَ بهم لكثرتهم فنزلوا قصار يوقع بهم ليلًا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرًا وهو ينتظر المدد من اصحابه اولاد بهآء الدين صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه وعلى ما نذكره ان شآء الله تعالى فاقام خوارزم شاه على بلخ اربعين يومًا كلّ يوم يركب الى الحرب فيُقتل من اصحابه كثير ولا يظفر بشئ فراسل صاحبها عماد الدين مع محمّد ابن علىّ بن بشير الغورىّ وبذل له بذلًا كثيرًا ليُسلم اليه البلد فلم يُجبه الى ذلك وقال لا اسلم البلد الّا الى اصحابه فعزم على المسير الى

هراة فلمّا سار اصحابه اولاد بهآء الدين صاحب باميان الى غزنة المرّة الثانية على ما نذكره ان شآء الله تعالى واسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم وارسل محمّد بن علىّ بن بشير الى عماد الدين نايبه يعرّفه حال اصحابه واسرهم وانّه لا يبقى عليه حجّة ولا له فى التاخر عنه عذر فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغّبه وتارة يرهّبه حتّى اجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وذكر اسمه على السكّة وقال انا اعلم انّه لا يفى له وارسل مَن يستحلفه على ما اراد فتمّ الصلح وخرج الى خوارزم شاه فخلع عليه واعاده الى بلده وكان سلخ ربيع الاوّل سنة ثلاث وستّمايّة ثمّ سار خوارزم شاه الى كرزبان ليحاصرها وبها علىّ بن ابى علىّ وارسل الى غياث الدين يقول انّ هذه كان قد اقطعها عمّك لابن خرميل فتنزل عنها فامتنع وقال بينى وبينكم السيف فارسل اليه خوارزم شاه مع محمّد بن علىّ بن بشير فرغّبه وايّسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به حتّى نزل عنها وسلّمها وعاد الى فيروزكوه فامر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامرآء فتركه وسلّم خوارزم شاه كرزبان الى ابن خرميل ثمّ ارسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه ويقول قد حصر معهم ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من اخصّ اوليآينا فحضر عنده فقبض عليه وسيّره الى خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفر التركىّ ☆

ذكر مُلك خوارزم شاه ترمذ وتسليمها الى الخطا

لمّا اخذ خوارزم شاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدًّا وبها ولد عماد الدين الذى كان صاحب بلخ فارسل اليه محمّد بن علىّ بن بشير يقول له انّ اباك قد صار من اخصّ اصحابى واكابر امرآء دولتى وقد سلّم الىّ بلخ وانّما ظهر لى منه ما انكرتُه فسيّرتُه الى خوارزم مكرّمًا محترمًا وامّا انت فتكون عندى اخًا ووعده واقطعه الكثير فخدعه محمّد بن علىّ فراى صاحبها انّ خوارزم شاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب اخر واصحابه قد اسرهم الدز بغزنة فضعفت نفسه وارسل مَن يستحلف له خوارزم شاه فحلف له وتسلّم منه ترمذ وسلّمها الى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزم شاه مسبّة عظيمة وذكرًا

قبيحًا فى عاجل الامر ثمّ ظهر للناس بعد ذلك انّه انّما سلّمها اليهم ليتمكّن بذلك من مُلك خراسان ثمّ يعود اليهم فياخذها وغيرها منهم لانّه لمّا ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافنام [ظهر] على الناس انّه فعل ذلك خديعةً ومكرًا غفر الله له ۞

ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة

قد ذكرنا قبلُ وصول الدز التركىّ الى غزنة واخراجه علآء الدين وجلال الدين ولدَىْ بهآء الدين سام صاحب باميان منها بعد ان ملكها واقام هو فى غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستّماية الى خامس ذى القعدة من السنة بحسن السيرة ويعدل فى الرعيّة واقطع البلاد للاجناد فبعضهم اقام وبعضهم سار الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه وكان يَعِد الناس بانّ رسولى عند مولاى غياث الدين فاذا عاد خطبتُ له ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرًا وخديعةً بهم وبغياث الدين لانّه لو لم يُظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وساير الرعايا وكان حينيئذ يضعُف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول واشباهه فلمّا ظفر بصاحب باميان على ما نذكره اظهر ما كان يُضمره ، فبينما هو فى هذا[1] اتاه الخبر بقرب علآء الدين وجلال الدين ولدَىْ بهآء الدين صاحب باميان فى العساكر الكثيرة وانّهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفًا شديدًا وجهّز الدُز كثيرًا من عسكره وسيّرهم الى طريقهم فلقوا اوايل[2] العسكر فقُتل من الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوّة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علآء الدين يقتلون وياسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزمًا يطلب بلده كرمان فادركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة الاف فارس فقاتلهم قتالاً شديدًا فردّهم عنه واحصر من كرمان مالاً كثيرًا وسلاحًا ففرّقه فى العسكر ، واما علآء الدين واخوه فانّهما تركا غزنة لم يدخلاها وسارا فى اثر الدُز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضًا وملك علآء الدين كرمان وامّنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونَهْبها

---

[1]) هذان [2]) اوليك

Digitized by Google

فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضى سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيّب قلوبهم واخبرهم غيره ممّن يثقون اليه انّهم مجمعون على النهب فاستعدّوا وضيّقوا ابواب الدروب والشوارع واعدّوا الغرادات والاحجار وجاءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يُسكّنهم احد فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكّنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفى اهل البلد فارسل الى امير كبير من الغوريّة يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخًا كبيرًا يرجعون الى قوله يُعرّفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يتشفّع فى الناس ففعل وبالغ فى الشفاعة وخوّفهم من اهل البلد ان اصرّوا على النهب فاجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فعوّضوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذى القعدة ومعهم الخزانة التى اخذها الدز من مؤيّد الملك لمّا عاد ومعه شهاب الدين قتيلًا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسع مائة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزّج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علاء الدين يستوزر مؤيّد الملك فسمع اخوه جلال الدين فاحضره وخلع عليه على كراهة منه للخلعة واستوزره فلمّا سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيّد الملك وقيّده وحبسه فتغيّرت نيّات الناس واختلفوا ثمّ انّ علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاحنة فى القسمة ما لا يجرى بين التجار فاستدلّ بذلك الناس على انّهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما واختلافهما وندم الامراء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثمّ انّ جلال الدين وعمّه عبّاسًا سارا فى بعض العسكر الى بامبان وبقى علاء الدين بغزنة فاستوزر وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعيّة ونهب اموال الاتراك حتّى انّهم باعوا امّهات اولادهم وهنّ يبكين ويصرخن ولا يلتفت اليهنّ ☆

ذكر عود الدز الى غزنة

لمّا سار جلال الدين عن غزنة واقام بها اخوه علاء الدين جمع

الدز ومن معه من الاتراك عسكرًا كثيرًا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلوا[1] فملكوها وقتلوا جماعة من الغوريّة ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدّمته مملوكًا كبيرا من مماليك شهاب الدين اسمه اى دكز التتر[2] فى القفّ فارس من الخلج والاتراك والغزّ والغوريّة وغيرهم وكان بكرمان عسكر لعلآء الدين مع امير يقال له ابن المؤيّد ومعه جماعة من الامرآء منهم ابو علىّ بن سليمان بن سيسر وهو وابوه من اعيان الغوريّة وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب لا يفترّان عن ذلك فقيل لهما انّ عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا ما كانا عليه فهجم عليهم اى دكز التتر[2] ومن معه من الاتراك فلم يمهلهم يركبون خيولهم فقُتلوا عن اخرهم منهم من قُتل فى المعركة ومنهم من قُتل صبرًا ولم ينج الّا من تركه الاتراك عمدًا ، ولمّا وصل الدز فراى امرآء الغوريّة كلّهم قتلى قال كلّ هولآء قاتلونا فقال اى دكز التتر لا بل قتلناهم صبرًا فلامه على ذلك ووبّخه واحضر راس ابن المؤيّد بين يديه فسجد شكرًا لله تعالى وامر بالمقتولين فغُسّلوا ودُفنوا وكان فى جملة القتلى ابو علىّ بن سليمان بن سيسر ووصل الخبر الى غزنة فى العشرين من ذى الحجّة من هذه السنة فصلب علآء الدين الذى جآء بالخبر فتغيّمت السمآء وجآء مطر شديد خرّب بعض غزنة وجآء بعده بَرَدٌ كبار مثل بيض الدجاج فصحّ الناس الى علآء الدين بانزال المصلوب فانزله اخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه ، وملك الدز كرمان واحسن الى اهلها وكانوا فى ضرّ شديد مع اوليك ، ولمّا صحّ الخبر عند علآء الدين ارسل وزيرَهُ الصاحب الى اخيه جلال الدين فى بلميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد اعدّ العساكر ليسير الى بلخ يُرحل عنها خوارزم شاه فلمّا اتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان اكثر عسكره من الغوريّة قد فارقوه وفارقوا اخاه وقصدوا غياث الدين فلمّا كان اواخر ذى الحجّة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازآء قلعة غزنة وحصر علآء الدين وجرى بينهم قتال شديد وامر الدز فنودى فى البلد

---

[1]) 740: غزنه [2]) C. P. et 740. Ups: اى دكن البثر

بالامان وتسكين الناس من اهل البلد والغوريّة وعسكر باميان واقام الدز محاصرًا للقلعة فوصل جلال الدين فى اربعة الاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم اربعين يومًا فلمّا سار الدز سيّر علآء الدين مَن كان عنده من العسكر وامرهم ان ياتوا الدز من خلفه ويكون اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلمّا خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيسر الغورىّ الى غياث الدين بفيروزكوه فلمّا وصل اكرمه وعظّمه وجعله امير دار فيروزكوه وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث وستّمائة ، واما الدز فانّه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بَلَف[1] فاقتتلوا قتالاً صبروا فيه فانهزم جلال الدين وعسكره وأُخذ جلال الدين اسيرًا واتى به الى الدز فلمّا رءاه ترجّل وقبّل يده وامر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه اسير والف اسير من الباميانيّة وغنم اصحابه اموالهم ولمّا عاد الى غزنة ارسل الى علآء الدين يقول له ليسلّم القلعة اليه والاّ قتل مَن عنده من الاسرى فلم يسلّمها فقتل منهم اربع مايّة اسير بازآء القلعة فلمّا راى علآء الدين ذلك ارسل مؤيّد الملك يطلب الامان فامّنه الدز فلمّا خرج قبض عليه ووكّل به واخيه مَن يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش مع علآء الدين بقلعة غزنة فلمّا خرج منها قبض عليه ايضًا وكتب الى غياث الدين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى ۞

ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان

فى هذه السنة اتّفق صاحب مراغة وهو علآء الدين هو ومظفّر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان واخْذها من صاحبها ابى بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلًا ونهارًا وتركه النظر فى احوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علآء الدين وتقدّما نحو تبريز فلمّا علم صاحبها ابو بكر ارسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والرىّ وما بينهما من البلاد

---

[1]) 740: بلف Ups.: بلف

وهو مملوك ابيه البهلوان وهو فى طاعة ابى بكر الّا انّه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى ابى بكر فارسل اليه ابو بكر يستنجده ويعرّفه الحال وكان حينيذ ببلد الاسماعيليّة فلمّا اتاه الخبر سار اليه فى العساكر الكثيرة فلمّا حضر عنده ارسل الى صاحب اربل يقول له انّنا كنّا نسمع عنك انّك تحبّ اهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنّا نعتقد فيك الخير والدين فلمّا كان الأن ظهر لنا منك ضدّ ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب اموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عقل تجئ الينا وانت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انّك هزمت هذا اما تعلم ان له مماليك انا احدهم ولو اخذ من كلّ قرية شحنة او من كلّ مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انّك ترجع الى بلدك وانّما اقول لك هذا ابقآء عليك ، ثمّ سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلمّا سمعها مظفّر الدين وبلغه مسير ايتغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ويسلّم عسكره اليه وقال له انّنى قد كاتبتى جميع امرآيه ليكونوا معى اذا قصدتُهم فلم يقبل مظفّر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقّة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفًا من الطلب ثمّ انّ ابا بكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى ابى بكر ﷺ كانت سبب الاختلاف واقطعه ابو بكر مدينتَىْ استوا[1] وارمية وعاد عنه ۞

ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيليّة

وفى هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيليّة المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمّم العزم على حصر الموت واستيصال اهلها فاتّفق ما ذكرنا من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى ابى بكر كما ذكرناه ۞

---

[1]) Fortasse اشنه legendum. Cfr *Journ. Asiat.* 1847, I, p. 160.

Digitized by Google

ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلد الجبل وما كان منهم

وفى هذه السنة سار من عسكر خوارزم طايفة كبيرة نحو عشرة الاف فارس باهليهم واولادهم فوصلوا الى زنكان وكان اينغمش صاحبها مشغولاً مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلوّ البلاد فلمّا عاد مظفّر الدين الى بلده وانفصل الحال بين اينغمش وصاحب مراغة سار اينغمش نحو الخوارزميّة فلقيهم وقاتلهم فاشتدّ القتال بين الطايفتين ثمّ انهزم الخوارزميّون واخذهم السيف فقُتل منهم وأُسر خلق كثير ولم ينج منهم الّا الشريد وسُبى سبآيهم وغنمت اموالهم وكانوا قد افسدوا فى البلاد بالنهب والقتل فلقوا عقبة فعلهم ☆

ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب

وفى هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمنىّ صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرّق واسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرًا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل فى طرف بلاده ممّا يلى بلد حلب فليس اليه طريق لانّ جميع بلاده لا طريق اليها الّا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لا سيّما من ناحية حلب فانّ الطريق منها متعذّر جدًّا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدّمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يُعرف بميمون القصرىّ يُنسب الى قصر الخلفآء العلويّين بمصر لانّ اباه منهم اخذه فانفذ الظاهر ميرة وسلاحًا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ الى ميمون ليرسل طايفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسيّر جماعة كثيرة من عسكره وبقى فى قلّة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجدّ فوافاه وهو مخفّ من العسكر فقاتله واشتدّ القتال بينهم فارسل ميمون الى الظاهر يعرّفه وكان بعيدًا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلّة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدوّ منهم فقتل واسر وكذلك ايضًا فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن باثقال المسلمين

فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخاير الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يَرُعْهم الّا العدوّ وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا اشدّ قتال ثمّ انهزم المسلمون ايضًا وعاد الارمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم ☆

ذكر نهب الكرج ارمينيّة

فى هذه السنة قصدت الكرج فى جموعها ولاية خلاط من ارمينيّة ونهبوا وقتلوا واسروا وسبوا اهلها كثيرًا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرّفين فى النهب والسبى والبلاد شاغرة لا مانع لها لانّ صاحبها صبىّ[1] والمدبّر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجُند فلمّا اشتدّ البلآء على الناس تذامروا وحرّض بعضهم بعضًا واجتمعت العساكر الاسلاميّة التى بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوّعة كثير فساروا جميعهم نحو الكُرج وهم خايفون فراى بعض الصوفيّة الاخيار الشيخَ محمّد البُستىّ وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفىّ اراك هاهنا فقال جيتُ لمساعدة المسلمين على عدوّهم فاستيقظ فرحًا بحلّ البُستىّ من الاسلام واتى الى مدبّر العسكر والقيّم بامره وقصّ عليه رؤياه ففرح بذلك وقوى عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلًا فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من موضعهم بالوادى الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا اظلم الليل فاتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وامسكوا عليهم راس الوادى واسفله وهو وادٍ ليس اليه غير هذه الطريقَيْن فلمّا راى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك وسقط ما فى ايديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرًا واسروا مثلهم ولم يُفلت من الكرج الّا القليل وكفى الله المسلمين شرّهم بعد ان كانوا اشرفوا على الهلاك ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الامير طاشتكين مجير الدين امير الحاجّ بتُشْتَر وكان قد ولّاه الخليفة على جميع خوزستان وكان اميرًا

---

[1]) 740 addit: ولا مدبر له

على الحاجّ سنين كثيرة وكان خيّرًا صالحًا حسن السيرة كثير العبادة يتشيّع ولمّا مات ولّى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته ، وفيها قُتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش امير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انّه سعى بأبيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فامر بالتوكيل على ابيه فبقى مدّة ثمّ اطلقه الخليفة ثمّ انّ سنجرًا قتل اخا له اسمه[1] فاوغر بهذه الاسباب صدور اهله واخوته فلمّا كان هذه السنة فى شعبان نزل بارض المعشوق وركب فى بعض الايّام ومعه اخوته وغيرهم من اصحابه فلمّا انفرد عن اصحابه ضربه اخوه علىّ بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه ، وفيها تجهّز غياث الدين خسرو شاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون[2] وحصر صاحبها لانّه كان قد خرج عن طاعته فضيّق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها برًّا وبحرًا ولم يخرج منهم احدٌ الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانّهم كانوا يتّجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم ينفتح الطريق تاذّوا اذًى كثيرًا فكان السعيد منهم مَن عاد الى راس ماله ، وفيها تزوّج ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان وارّان بابنة ملك الكرج وسبب ذلك انّ الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما راوا من عجزه وانهماكه فى الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما راى هو ايضًا ذلك ولم يكن عنده من الحميّة والانفة من هذه المناحس ما يترك ما هو مُصرٌّ عليه وانّه لا يقدر على الذبّ عن البلاد عدل الى الذبّ عنها بأيره فخطب ابنة ملكهم فتزوّجها فكفّ الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل اغمد سيفه وسلّ أيره ، وفيها حُمل الى ازبك خروف وجهه صورة ادمىّ وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجايب ، وفيها توفّى القاضى ابو محمّد بن محمّد المانداىّ الواسطىّ بها ، وفيها فى شوّال توفّى فخر الدين

---

[1]) Sic quoque in 740. [2]) طرابزون

مبارك شاه بن الحسن المرورودىّ[1] وكان حسن الشعر بالفارسيّة والعربيّة وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرها وكان له دار ضيافة فيها كُتب وشطرنج فالعلمآء يطالعون الكتب والجهّال يلعبون بالشطرنج ، وفيها فى ذى الحجّة توفّى ابو الحسن علىّ بن علىّ بن سعادة الفارقىّ الفقيه الشافعىّ ببغداد وبقى مدّة طويلة معيدًا بالنظاميّة وصار مدرّسًا بالمدرسة التى احدثتها امّ الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحًا طلب للنيابة فى القضآء ببغداد فامتنع فأُلزم بذلك فوليه يسيرًا ثمّ فى بعض الايّام مشى الى جامع ابن المطّلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغيّر ثيابه وامر الوكلآء وغيرهم بالانصراف واقام به حتّى سكن الطلب عنه وعاد الى [داره] بغير ولاية ، وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكّىّ المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلًا صالحًا كثير العبادة ، وفيها ايضًا توفّى العفيف ابو المكارم عرفة بن علىّ بن بصلا البندنيجىّ ببغداد وكان رجلًا صالحًا منقطعًا الى العبادة رحمه الله ۞

ثمّ دخلت سنة ثلاث وستّمائة ، سنة ٦٠٣

ذكر مُلك عبّاس باميان وعودها الى ابن اخيه

فى هذه السنة ملك عبّاس باميان من علآء الدين وجلال الدين ولدَىْ اخيه بهآء الدين وسبب ذلك انّ عسكر باميان لمّا انهزموا من الدز وعادوا اليها اخبروا انّ علآء الدين وجلال الدين أُسروا وانّ الدُز ومَن معه غنموا ما فى ايديهما فاخذ وزير ابيهما المعروف بالصاحب من الاموال كثيرًا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ فيلًا وسار الى خوارزم شاه يستنجده على الدُز ليسيّر معه عسكرًا يستخلص به صاحبَيْه فلمّا فارق باميان راى عمّهما عبّاس خلوّ البلد منه ومن ابنَىْ اخيه جمع اصحابه وقام فى البلد فملكه وصعد الى القلعة فملكها واخرج اصحاب ابنَىْ اخيه علآء الدين وجلال الدين منها فبلغ الخبر الى الوزير السايرِ الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر عبّاسًا فى القلعة وكان مطاعًا فى جميع ممالك بهآء الدين وولدَيْه من بعده واقام محاصرًا

[1] المروردى (؟)

الّا انّه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج اليه انّما كان معه ما اخذه ليحمله الى خوارزم شاه فلمّا خلص جلال الدين من اسر الدّز على ما نذكره وسار الى باميان فوصل الى ارصف وهى مدينة باميان وجآء اليه وزير ابيه الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع وراسلوا عبّاسًا المتغلّب عليها ولاطفوه فسلّم الجميع الى جلال الدين وقال انّما حفظتُها خوفًا ان ياخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى مُلكه ٭

ذكر مُلك خوارزم شاه الطالقان

لمّا سلّم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار عنها الى ميهنة[1] واندخوى [وكتب][2] الى سونج امير اشكار[3] نايب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فعاد الرسول خايبًا لم يجبه سونج الى ما اراد منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلمّا تقابل العسكران حمل سونج وحده مجدًّا حتّى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى الارض ورمى سلاحه عنه وقبّل الارض وسأل العفو فظنّ خوارزم شاه انّه سكران فلمّا علم انّه صاحٍ ذمّه وسبّه وقال مَن يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودوابّ وانفذه الى غياث الدين مع رسول وحمّله رسالة تتضمّن التقرّب اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض اصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج اليه حسام الدين علىّ بن ابى علىّ صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فارسل اليه خوارزم شاه يتهدّده ان لم يسلّم اليه فقال امّا انا فملوك وهذه الحصون فهى امانة بيدى ولا اسلّمها الّا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذمّ سونج ولمّا بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشقّ عليه فسلّاه اصحابه وهوّنوا الامر ولمّا فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يمكن ابن خرميل احدًا من الخوارزميّين ان يتطرّق بالاذى الى اهلها وانّما كانوا يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميّين ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه

---

[1]) C. P.: ميمند 740.: ممنه [2]) C. P. et 740. [3]) C. P.: شكار

بالهدايا وراى الناس عجبًا وذلك انّ الخوارزميّين لا يذكرون غياث الدين الكبير والد هذا غياث الدين ولا يذكرون ايضًا شهاب الدين اخاه وهما حيّان الّا بالغوريّ وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الأن مع عظم شانه وقلّة هذا غياث الدين لا يذكره الّا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلّة بلاده وامّا ابن خرميل فانّه سار من هراة فى جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسفرار[1] فى صفر وكان صاحبها قد توجّه الى غياث الدين فحصرها وارسل الى مَن بها يقسم بالله ليَن سلّموها ان يؤمّنهم وان امتنعوا اقام عليهم الى ان ياخذهم فاذا اخذهم قهرًا لا يُبقى على كثير ولا صغير فخافوا فسلّموها فى ربيع الاوّل فامّنهم ولم يتعرّض الى اهلها بسوء فلمّا اخذها ارسل الى حرب بن محمّد[2] صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك فى الخطبة والدخول فى طاعته فغالطه ولم يجبه الى ما طلب ، ولمّا كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن خرميل قد اخرجه من هراة فى العام الماضى وسار الى غياث الدين فعاد الأن من عنده فلمّا وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه انّ هذا يميل الى الغوريّة ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولّى القضآء بهراة الصفى ابا بكر بن محمّد السرخسىّ وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضآء بهراة ☆

ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك

لمّا عاد الدز الى غزنة واسر علآء الدين واخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فاجابه فى هذه المدّة اشدّ منه فيما تقدّم فاعاد غياث الدين اليه يقول امّا ان تخطب لنا وامّا ان تعرّفنا ما فى نفسك فلمّا وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وامره يخطب لنفسه بعد الترحّم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلمّا سمع الناس ذلك ساءهم وتغيّرت نيّاتهم ونيّات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلًا ان يخدموه وانّما كانوا يُطيعونه ظنًّا

---

(1) اسفران (2) محمد بن

منهم انّه ينصر دولة غياث الدين فلمّا خطب لنفسه ارسل الى غياث الدين يقول له بما ذا تشتطّ علىّ وتتحكّم هذه الخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا المُلك قد اخذتُه وانت قد اجتمع عندك الذين اساس الفتنة واقطعتَهم الاقطاعات ووعدتَنى بامور لم تقف[3] عليها فان انت اعتقتنى خطبتُ لك وحضرتُ خدمتَك فلمّا وصل الرسول اجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما يريد وقصد غزنة ومحاربته بها فلمّا اجابه الى العتق اشهد عليه به واشهد عليه ايضًا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونايبه ببلاد الهند وارسل الى كلّ واحد منهما الف قبآء والف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفًا كثيرة وجترَيْن ومايْة راس من الخيل وارسل الى كلّ واحد منهما رسولاً فقبل الدز الخلع وردّ الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له اصحاب وسار رسول ايبك اليه وكان بفرشابور قد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه فى أمْن فلمّا قرب الرسول منه لقيه على بُعد وترجّل وقبّل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال امّا الجتر فلا يصلح للمماليك وامّا العتق فمقبول وسوف أُجازيه بعبوديّة الابد، وامّا خوارزم شاه فانّه ارسل الى غياث الدين يطلب منه ان يتصاهرا ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه فى العساكر الى غزنة فاذا ملكها من الدز اقتسموا المال اثلاثًا ثلثًا لخوارزم شاه وثلثًا لغياث الدين وثلثًا للعسكر فاجابه الى ذلك ولم يبق الّا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعًا عظيمًا ظهر اثر عليه وارسل الى غياث الدين [يقول له] ما حملك على هذا فقال حملنى عليه عصيانك وخلافك علىّ فسار الدز الى تكياباذ[2] فاخذها والى بُست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وارسل الى صاحب سجستان يامره باعادة الترحُّم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه وارسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهدّدها بقصد بلادها فخافه الناس ثمّ انّ الدز اخرج جلال الدين صاحب باميان من اسْره وسيّر معه خمسة الاف فارس مع اى دكز التتر[3] مملوك

تقف (1 Vid. pag. ١٤٧ تكماناذ (2 البتر (3

شهاب الدين الى باميان ليُعيدوه الى مُلكه ويُزيلون ابن عمّه عنه وزوّجه ابنته وسار ومعه اى دكز فلمّا خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال انتم ما رضيتم تلبسون خلعة غياث الدين وهو اكبر سنًّا منكم واشرف بيتًا تلبس خلعة هذا المأبون يعنى الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه انّ الاتراك كلّهم مجمعون على خلاف الدز فلم يجبه الى ذلك فقال اى دكز فانّنى لا اسير معك وعاد الى كابل وفى اقطاعه فلمّا وصل اى دكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبّح له فعله ويامره باقامة خطبة غياث الدين ويخبره انّه قد خطب له فى بلاده ويقول له ان لم يخطب له هو ايضًا بغزنة ويعود الى طاعته والّا قصده وحاربه فلمّا علم اى دكز ذلك قويت نفسه على محاربة الدز وصمّم العزم على قصد غزنة ووصل ايضًا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا والتحف ويُشير باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من امر غزنة تسهل امور خوارزم شاه وغيره وانفذ له ذهبًا عليه اسمه فكتب اى دُكز الى ايبك يُعرّفه عصيان الدز على غياث الدين وما فعله فى البلاد وانّه على عزم مشاققة الدز وهو ينتظر امره فاعاد ايبك جوابه يامره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة اقام بها الى ان ياتيه وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل ، فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر اى دكز وما عزم عليه فكتب الدز الى نوّابه بقلعة غزنة يامرهم بالاحتياط منه فوصلها اى دكز اوّل رجب من السنة وقد حذره فلم يسلّموا اليه القلعة ومنعوه عنها فامر اصحابه بنهب البلد فنهبوا عدّة مواضع منه فتوسّط القاضى الحال بان سلّم اليه من الخزانة خمسين الف دينار ركنيّة واخذ له من التجار شيئًا اخر وخطب اى دُكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز ففرح الناس بذلك ، وكان مؤيّد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز بوصول اى دكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه ففتّ فى عضده وخطب لغياث الدين فى تكياباذ[1] واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى

[1] تكماباذ (؟)

غزنة فلمّا قاربها رحل اي دكز عنها الى بلد الغور فاقام فى تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وانفذ اليه المال الذى اخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعًا واعتنقه وخاطبه بملك الامرآء وردّ عليه المال الذى كان اخذه من الخزانة وقال له امّا مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتُخرجه وامّا اموال التجار واهل البلد فقد ارسلتُه مع رسولى ليُعاد الى اربابه ليُلّا نفتتح دولتنا بالظلم وقد عوّضتُك عنه ضعفه وارسل اموال الناس الى غزنة الى قاضى غزنة وامره أن يردّ المال المنفّذ على اربابه ، فانهى القاضى الحال الى الدز واشار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال انا اسعى فى الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المجئ اليه وقال لا تسال فى عبد ابق قد بان فساده واتّضح عنادُه فاقام بغزنة هو والدز وسيّر غياث الدين عسكرًا الى اى دكز التتر[1] فاقاموا معه وسيّر الدز عسكرًا الى روبين‌كان[2] وهى لغياث الدين وقد اقطعها لبعض الامرآء فهجموا على صاحبها فنهبوا ماله واخذوا اولاده فنجا وحده الى غياث الدين فاقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بُست وتلك الولاية فاستردّها واحسن الى اهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى ☆

ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين اولاده

فى هذه السنة توفّى حُسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلّف ثلاثة اولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج اخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك علىّ شاه بن خوارزم شاه تكش اخو خوارزم شاه محمّد وهو ينوب عن اخيه فيها فشكى اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه ان ينجده عليه ويأخذ له البلاد ليكون فى طاعته فكتب علىّ شاه الى اخيه خوارزم شاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران وأَخْذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها فساروا عن جرجان فاتّفق انّ حُسام الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده اخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل

---

[1]) البتر Ups.: رودركان :C. P. 740 رودن‌كان :C. P. [2])

على شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخرّبوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع واقام بقلعة كورا وهى التى فيها الاموال والذخاير وحصره فيها بعد ان ملكوا اسامة البلاد مثل سارية وآمل وغيرها من البلاد والحصون وخُطب لخوارزم شاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد على شاة الى جرجان[1] واقام ابن ملك مازندران فى البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التى فيها اخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه واخوه لا يردُّ جوابًا ولا ينزل عن حصنه ☆

ذكر مُلك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاليّة[2]

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلد الروم مدينة انطاليّة[2] بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انّه كان حصرها قبل هذا التاريخ واطال المقام عليها وهدم عدّة ابراج من سورها ولم يبق الّا فتحها عنوة فارسل مَن [بها من] الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طايفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التى بينهما وبين بلاده وامرهم بقطع الميرة منها فاستمرّ الحال على ذلك مدّة حتّى ضاق باهل البلد واشتدّ الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم فظنّ الفرنج انّ الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع الخلف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلّموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليهم مُجدًّا فى طايفة من عسكره فوصلها ثانى شعبان وتقرّر الحال بينه وبين الروم وتسلّم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلّمه وقتل كلّ من كان به من الفرنج ☆

ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط ومُلك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده

---

(1) خراسان (2) انطاكية

وفى هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك انّ ولد بكتمر كان صبيًّا جاهلًا فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه ارمن وهو كان اتابكه ومُدبّر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعيّة فلمّا قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامّة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من [اهل] خلاط وجماعة من الجند ناصرَ الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانّما كاتبوه دون غيره من الملوك لانّ اباه قطب الدين ايلغازى كان ابن اخت شاه ارمن بن سكمان وكان شاه ارمن قد حلّف له الناس فى حياته لانّه لم يكن له ولد فلمّا تجدّدت بعده هذه الحادثة تذاكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملّكه فانّه من اهل شاه ارمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ، ثمّ انّ بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فملكها واتّفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظنّ انّ احدًا لا يمتنع عليه ويسلّمون اليه المدينة فنزل قريبًا من خلاط عدّة ايّام فارسل اليه بلبان يقول له انّ اهل خلاط قد اتّهمونى بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والرأى انّك ترحل عايدًا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلّمتُ البلد سلّمته اليك لانّنى لا يمكننى ان املكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلمّا ابعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والّا جيتُ اليك واوقعتُ بك وبمن معك وكان فى قلّة من الجيش فعاد الى ماردين ، وكان الملك الاشرف موسى بن العادل الى بكر بن ايّوب صاحب حرّان وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لمّا سمع انّه يريد قصد خلاط يقول له ان سرتَ الى خلاط قصدتُ بلدك وانّما خاف ان يملك خلاط فيقوى عليهم فلمّا سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذ دخلها واقام بدنيسر حتّى تجبّى الاموال اليه فلمّا فرغ منه عاد الى حرّان فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت تطلب قرنَيْن

علت بلا اذنَيْن ، وامّا بلبان فانّه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيّق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع مَن عنده بالبلد من الاجناد والعامّة وخرج اليه فالتقوا فانهزم بلبان ومَن معه من بين يديه وعاد الى الذى بيده من البلاد وهو ملازكرد وارجيش وغيرها من الحصون وجمع العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيّق على اهلها فاضطرّهم الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثمّ قبضوا عليه فى القلعة وارسلوا الى بلبان وحلّفوه على ما ارادوا وسلّموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع اعمال خلاط وسجن ابن بكتمر فى قلعة هناك واستقرّ مُلكه فسبحان مَن اذا اراد امرًا هيّأ اسبابه بالامس يقصدها شمس الدين محمّد بن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن ايّوب فلم يقدر احدهما عليها والآن يظهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال والبلاد والاموال فيملكها صفوًا عفوًا ، ثمّ انّ نجم الدين ايّوب بن العادل صاحب ميّافارقين سار نحو ولاية خلاط وكان قد استولى [على] عدّة حصون من اعمالها منها حصن موسى ومدينته فلمّا قارب خلاط اظهر له بلبان العجز عن مقابلته فطمع واوغل فى القرب فاخذ عليه بلبان الطريق وقاتله فهزمه ولم يُفلت من اصحابه الّا القليل وهم جَرْحَى وعاد الى ميّافارقين ۞

ذكر مُلك الكُرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج

فى هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من اعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدّة طويلة وضيّقوا على مَن فيه واخذوا دَخْل الولاية عدّة سنين وكلّ من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى فى راحة تصل اليهم وكان الوالى بها يواصل رسله فى طلب النجدة وازاحة مَن عليه من الكرج فلا يُجاب له دعآء فلمّا طال الامر عليه وراى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع ياخذه منهم وصارت دار شرك بعد ان كانت دار توحيد فانّا لله وانّا اليه راجعون ونسأل الله ان يُسهل للاسلام واهله نصرًا من عنده فانّ ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سدّ الثغور وحفظ البلاد ثمّ انّ الله تعالى نظر الى قلّة ناصر الاسلام فتولّاه فأمات ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرّهم الى اخر السنة ۞

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان

فى هذه السنة فى رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولّى لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين امير الحاجّ لانّه زوّج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يُعرف بابى طاهر وهى جبال منيعة بين فارس واصبهان وخوزستان فقاتلوا اهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك انّ مملوكًا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من اكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رءاه من الوزير نصير الدين العلوىّ الرازىّ واجتاز بخوزستان واخذ منها ما امكنه ولحق بابى طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظّمه وزوّجه ابنته ثمّ توفّى ابو طاهر فقوى امر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده وقتاله ففعل سنجر ما امر به وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسال ان لا يقصده ويخرج الى الخروج عن العبوديّة فلم يقبل عذره فجمع اهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وارسل [الى] صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب اصبهان وهمدان والرىّ يُعرّفهما الحال ويقول انّى لا قوة لى بعسكر الخليفة ولمّا أُضيف اليهم عساكر اخرى من بغداد وعادوا الى حربى وحينيئذ لا اقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوّفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوى جنانه واستمرّ على حاله ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قتل صبىٌّ صبيًّا اخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كلّ واحد منهما يقارب عشرين سنة فقال احدهما للاخر الساعة اضربك بهذه السكين يمازحه بذلك واهوى نحوه بها فدخلت فى جوفه فمات فهرب القاتل ثمّ أُخذ وأُمر به ليقتل فلمّا ارادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيها من قوله

قدمتُ على الكريم بغير زادٍ ... من الاعمال بل قلب سليم
وسوء الظنّ ان تعتدّ زادًا ... اذا كان القدوم على كريم ،

وفيها حجّ برهان الدين صدر جهان محمّد بن احمد بن عبد العزيز بن مازة البخارىّ رئس الحنفيّة ببخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدّى الخراج الى الخطا وينوب عنهم فى البلد فلمّا حجّ لم تحمد سيرته

فى الطريق ولم يصنع معروفًا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلمّا عاد لم يُلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاجّ وسمّاه الحجاج صدر جهنّم ٭ وفيها فى شوّال مات شيخنا ابو الحرم مكى بن ريان[1] ابن شبه النحوى المقرى بالموصل وكان عارفًا بالنحو واللغة والقرآات لم يكن فى زمانه مثله وكان ضريرًا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل ٭ وفيها فارق امير الحاجّ مظفّر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبُع الحاجّ بموضع يقال له المرخوم ومضى فى طايفة من اصحابه الى الشام وسار الحاجّ ومعهم الجند فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب فاقطعه اقطاعًا كثيرًا بمصر واقام عنده الى ان عاد الى بغداد سنة ثمان وستّمايئة فى جمادى الاولى فانّه لمّا قُبض الوزير امر على نفسه وارسل يطلب العود فأُجيب اليه فلمّا وصل اكرمه الخليفة واقطعه الكوفة ٭ وفيها فى جمادى الاخرة توفّى ابو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندرانىّ المعروف بابن النطرونىّ فى مارستان بغداد وكان قد مضى الى المايورقىّ[2] فى رسالة بافريقية فحصل له منه عشرة الاف دينار مغربيّة فرّقها جميعها فى بلده على معارفه واصدقايه وكان فاضلًا خيّرًا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن وكان قيّمًا بعلم الادب واقام بالموصل مدّة واشتغل على الشيخ ابى الحرم واجتمعتُ به كثيرًا عند الشيخ ابى الحرم رحمه الله ٭

ثم دخلت سنة اربع وستّمايئة ٭ سنة ٦٠٤

ذكر ملك خوارزم شاه ما ورآء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها

فى هذه السنة عبر علآء الدين محمّد بن خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك انّ الخطا كانوا قد طالت ايّامهم ببلاد تركستان وما ورآء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم فى كلّ مدينة نايبٌ يجبى اليهم الاموال ولم يسكنون الحركاهات على عادتهم قبل ان يملكوا وكان مقامهم بنواحى اوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحى فاتّفق انّ سلطان

---

[1]) C. P. 740.: ملى بن رُبان Ups.: سكى بن ربان [2]) المايرونى

سمرقند وبخارى ويلقب خان خانان يعنى سلطان السلاطين وهو من اولاد الخانيّة عريق النسب فى الاسلام والملك أنف وضجر من تحكّم الكفّار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له انّ الله عزّ وجلّ قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدى الكفّار وتخلّصهم ممّا يجرى عليهم من التحكّم فى الاموال والابشار ونحن نتّفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك فى الخطبة وعلى السكّة فاجابه الى ذلك وقال اخاف انّكم لا تفون لى فسيّر اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارى وسمرقند بعد ان حلّفوا صاحبهم على الوفآء بما تضمّنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهاين فشرع فى اصلاح امر خراسان وتقرير قواعدها فولّى اخاه علىّ شاه طبرستان مضافة الى جرجان وامره بالحفظ والاحتياط وولّى الامير كزلك خان وهو من اقارب امّه واعيان دولته بنيسابور وجعل معه عسكرًا وولّى الامير جلدك مدينة الخام وولّى الامير امين الدين ابا بكر مدينة زوزن وكان هذا امين الدين جمّالًا ثمّ صار اكبر الامرآء وهو الذى ملك كرمان على ما نذكره ان شآء الله تعالى واقرّ الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها الف فارس من الخوارزميّة وصالح غياث الدين محمودًا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب فى مرو وسرخس وغيرها من خراسان نوّابًا وامرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهّز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع الخطا فحشدوا وجمعوا وجآوا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه ☆

ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة واسر خوارزم شاه وخلاصه

ثمّ انّ ابن خرميل صاحب هراة راى سوء معاملة عسكر خوارزم شاه للرعيّة وتعدّيهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولًا الى خوارزم شاه يعتذر ويعرّفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه مخافقته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويامره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له انّى قد امرتُ عزّ الدين جلدك بن طغرل صاحب الخام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل

الى جلدك يامره بالمسير الى هراة واسرّ اليه ان يحتال فى القبض على حسين بن خرميل ولو اوّل ساعة يلقاه فسار جلدك فى الفَىْ فارس وكان ابوه طغرل ايّام السلطان سنجر واليًا بهراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلمّا قارب هراة امر ابن خرميل الناس بالخروج بتلقيه وكان للحسين وزير يُعرف بخواجه الصاحب وكان كثيرًا قد حنّكتْهُ التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقآيه ودعه يدخل اليك منفردًا فانّنى اخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزم شاه امر بذلك فقال لا يجوز ان يقدم مثل هذا الامير ولا التقيه واخاف ان يصطغن ذلك علىّ خوارزم شاه وما اظنّه يتجاسر علىّ فخرج اليه الحسين بن خرميل فلمّا بصر كلّ واحد منها بصاحبه ترجّل للالتقآء وكان جلدك قد امر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل واصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعدّ للحصار ونزل جلدك على البلد وارسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدّده ان لم يسلّم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغورىّ وقال لجلدك لا اسلّم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانّما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدّموا ابن خرميل الى السور فخاطب الوزير وامره بالتسليم فلم يفعل فقُتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدّم من اخباره عند شهاب الدين الغورىّ ما يدلّ على غدره وكفرانه الاحسان ممّن احسن اليه ٭ فلمّا قُتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزم شاه بجليّة الحال فانفذ خوارزم شاه الى كزلك خان والى نيسابور والى امين الدين ابى بكر صاحب زوزن يامرهما بالمسير الى هراة وحصارها واخذها فسارا فى عشرة الاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من الحلّ ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزم شاه سلّمتُها اليه فقاتلوه وجدّوا فى قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصّن هراة وعمل لها اربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلمّا فرغ من كلّ ما اراد قال بقيتْ اخاف على هذه المدينة شيأً واحدًا وهو ان تُسكّر المياه التى لها ايّامًا كثيرة ثمّ تُرسل

دفعة واحدة فتخرق اسوارها فلمّا حصرها هولآء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا المياه حتّى اجتمعت كثيرًا ثمّ اطلقوها على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى السور لانّ ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق مآء وصار حولها وَحْلًا فانتقل العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل ان يمتلى الخندق مآء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقاموا مدّة حتّى نشف المآء فكان قول ابن خرميل من احسن الحيل ، ونعود الى قتال خوارزم شاه للخطا واسره واما خوارزم شاه فانّه دام القتال بينه وبين الخطا ففى بعض الايّام اقتتلوا واشتدّ القتال ودام بينهم ثمّ انهزم المسلمون هزيمة قبيحة وأُسر كثير منهم وقُتل كثير وكان من جملة الاسرى خوارزم شاه وأُسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين [مسعود] اسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلاميّة الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت اخت كزلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة واعلمته الحال فلمّا اتاه الخبر سار عن هراة ليلًا الى نيسابور واحسّ به الامير امين الدين ابو بكر صاحب زوزن فاراد هو ومَن عنده من الامرآء منعه مخافة ان يجرى بينهم حرب يطمع بسببها اهل هراة فيهم فيخرجون اليهم فيبلغون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته ، وكان خوارزم شاه قد خرّب سور نيسابور لمّا ملكها من الغوريّة فشرع كزلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلآء على خراسان ان صحّ فقدُ السلطان وبلغ خبر عدم السلطان الى اخيه علىّ شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعدّ لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطًا عظيمًا ، واما السلطان خوارزم شاه فانّه لمّا أُسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تَدَع السلطنة في هذه الايّام وتصير خادمًا لعلىّ احتال في خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود ويقدّم له الطعام ويُخلعه ثيابه وخُفّه ويعظّمه فقال الرجل الذى اسرهما لابن مسعود ارى هذا الرجل يعظّمك فمن انت فقال انا فلان وهذا غلامى فقام اليه واكرمه وقال لو لا انّ القوم عرفوا مكانك عندى لاطلقتُك ثمّ تركه ايّامًا فقال له ابن مسعود انى اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يرانى اهلى معهم فيظنّون انى قُتلتُ فيعملون

العزآء والماتم وتضيق صدورهم لذلك ثمّ يقتسمون مالى فاهلك واحبّ ان تقرّ علىّ شيأً من المال حتّى احمله اليك فقرّر عليه مالاً وقال له اريد ان تامر رجلاً عاقلاً يذهب بكتابى الى اهلى ويخبرهم بعافيتى ويحضر معه من يحمل المال ثمّ قال انّ اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامى اثق به ويصدّقه اهلى فاذن له الخطابىّ بانفاذه فسيّره وارسل معه الخطابىّ فرسًا وعدّة من الفرسان يحمونه فساروا حتّى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزم شاه ووصل خوارزم شاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشاير وزيّنوا البلد واتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع اخوه علىّ شاه بطبرستان ۞

ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان

لمّا وصل خوارزم شاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان واخوه علىّ شاه وغيرهم فسار الى خراسان[1] وتبعته العساكر فتقطّعت ووصل هو اليها فى اليوم السادس ومعه ستّة فرسان وبلغ كزلك خان وصوله فاخذ امواله وعساكره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه علىّ شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجيًا الى غياث الدين محمود الغورىّ صاحب فيروزكوه فتلقاه واكرمه وانزله عنده ، واماّ خوارزم شاه فانّه دخل نيسابور واصلح امرها وجعل فيها نايبًا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى اوليك الامرآء ووثق بهم لانّهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيّروا ولم يبلغوا من هراة غرضًا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزم شاه الى الوزير يقول له انّك وعدتنى عسكرى انّك تسلّم المدينة اذا حضرتُ وقد حضرتُ فسلّم فقال لا افعل لانّى اعرف انّكم غدّارون لا تبقون على احد ولا اسلّم البلد الّا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزم شاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتّفق جماعة من اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع والقلّة وقد تعطّلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يَعِد بتسليم البلد الى خوارزم شاه اذا وصل اليه وقد حصر خوارزم شاه ولم يسلم ويجب ان نحتال فى تسليم البلد والخلاص من هذه الشدّة التى نحن

[1] خوارزم

فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وامرهم بالقبض عليهم فمضى الجند اليهم فثارت فتنة فى البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فمضى لذلك فكُتب من البلد الى خوارزم شاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا برجَيْن من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزم شاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستّمائة واصلح حاله وسلّمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرآيه فلم تزل بيده حتّى هلك خوارزم شاه ، وامّا ابن شهاب الدين مسعود فانّه اقام عند الخطا مُدَيْدةً فقال له الذى استاسره يومًا انّ خوارزم شاه قد عدم فايش عندك [من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذى كان عندك فقال]١ لِمَ لا عرّفتنى حتّى كنتُ اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتُكم عليه فقال الخطايىّ سِرْ بنا اليه فسارا اليه فاكرمهما واحسن اليهما وبالغ فى ذلك ☆

ذكر قتل غياث الدين محمود

لمّا سلّم خوارزم شاه هراة الى خاله امير ملك وسار الى خوارزم امره ان يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمّد بن سام الغورىّ صاحب الغور وفيروزكوه وان يقبض عليه وعلى اخيه علىّ شاه بن خوارزم شاه ويأخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار امير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فاعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه امير ملك وعلى علىّ شاه اخى خوارزم شاه فسألاه ان يحملهما الى خوارزم شاه ليرى فيهما رايه فارسل الى خوارزم شاه يعرّفه الخبر فامره بقتلهما فقُتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلّها لخوارزم شاه وذلك سنة خمس وستّمائة ايضًا ، وهذا غياث الدين هو اخر ملوك لغوريّة ولقد كانت دولتهم من احسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادًا وكان هذا محمود عادلًا حليمًا كريمًا من اكرم الملوك اخلاقًا رحمه الله تعالى ☆

ذكر عود خوارزم شاه الى الخطا

لمّا استقرّ امر خراسان لمحمّد خوارزم شاه وعبر نهر جيحون فجمع له الخطا جمعًا عظيمًا وساروا اليه والمقدّم عليهم شيخ دولتهم القايم مقام

١) 740.

الملك فيهم المعروف بطاينكوه وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبًا كثيرة وكان مظفّرًا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وتصافّوا هم والخطا سنة ستّ وستّمائة فجرت حروب لم يكن مثلها شدّة وصبرًا فانهزم الخطا هزيمة منكرة وقُتل منهم وأُسر خلق لا يحصى وكان فيمن أُسر طاينكوه مقدّمهم وجيء به الى خوارزم شاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيّره الى خوارزم ثمّ قصد خوارزم شاه الى بلاد ما ورآء النهر فملكها مدينةً مدينةً وناحيةً ناحيةً حتّى بلغ اوزكند وجعل نوّابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من احسن الناس صورة فكان اهل خوارزم يجتمعون حتّى ينظرون اليه فزوّجه خوارزم شاه بابنته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا ☆

ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميّين

لمّا عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزم شاه اقام معه نحو سنة فراى سوء سيرة الخوارزميّين وقبح معاملتهم ما ندم على مفارقة الخطا فارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلّمها اليه ويعود الى طاعته وامر بقتل كلّ مَن فى سمرقند من الخوارزميّة ممّن سكنها قديمًا وحديثًا واخذ اصحاب خوارزم شاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتَيْن ويُعلقهم فى الاسواق كما يُعلق القصّاب اللحم واسآء غاية الاسآة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه فاغلقت الابواب ووقفت بجواريها تمنعه وارسلت اليه تقول انا امراة وقَتْل مثلى قبيحٌ ولم يكن منّى اليك ما استوجب به هذا منك ولعلّ تركى احمد عاقبة فاتّق الله فىّ فتركها ووكّل بها من يمنعها التصرّف فى نفسها ، ووصل الخبر الى خوارزم شاه فقامت قيامته وغضب غضبًا شديدًا وامر بقتل كلّ مَن بخوارزم من الغرباء فمنعته امّه عن ذلك وقالت انّ هذا البلد قد اتاه الناس من اقطار الارض ولم يرض كلّهم بما كان من هذا الرجل فامر بقتل اهل سمرقند فنهَتْه امّه فانتهى وامر عساكره بالتجهيز الى ما ورآء النهر وسيّرهم ارسالاً كلّما تجهّز جماعة عبروا جيحون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثمّ عبر هو بنفسه فى اخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلتَ ما لم

يفعله مسلم واستحللتَ من دمآء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد عفى الله عمّا سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئتَ فقال لا اخرج وافعل ما بدا لك فامر عساكره بالزحف فاشار عليه بعض مَن معه بان يامر بعض الامرآء اذا فتحوا البلد ان يقصدوا الدرب الذى يسكنه التجار فيمنع من نهبه والتطرّق اليهم بسوءٍ فانّهم غرباء وكلّهم كارهون لهذا الفعل فامر بعض الامرآء بذلك وزحف ونصب السلاليم على السور فلم يكن باسرع من ان اخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من اهل سمرقند فنُهب البلد وقُتل اهله ثلاثة ايّام فيقال انّهم قتلوا منهم مايتى الف انسان وسلم ذلك الدرب الذى فيه الغرباء فلم يعدم منهم الفرد ولا الادمى الواحد ثمّ امر بالكفّ عن النهب والقتل ثمّ زحف الى القلعة فراى صاحبها ما ملأ قلبه هيبةً وخوفًا فارسل يطلب الامان فقال لا امان لك عندى فزحفوا عليها فملكوها واسروا صاحبها واحضروه عند خوارزم شاه فقبّل الارض فطلب العفو فلم يعف عنه وامر بقتله فقُتل صبرًا وقُتل معه جماعة من اقاربه ولم يترك احدًا ممّن ينسب الى الخانيّة ورتّب فيها وفى ساير البلاد نوّابه ولم يبق لاحد معه فى البلاد حكم ☆

ذكر الوقعة التى افنت الخطا

لمّا فعل خوارزم شاه بالخطا ما ذكرناه مضى مَن سلم منهم الى ملكهم فانّه لم يحصر للحرب فاجتمعوا عنده وكان طايفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديمًا ونزلوا ورآء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلمّا سمعوا بما فعله خوارزم شاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان فلمّا راى ملك الخطا ذلك ارسل الى خوارزم شاه يقول له امّا ما كان منك من أَخْذ بلادنا وقَتْل رجالنا فعفوٌ عنه وقد اتا من هذا العدوّ مَن لا قبل لنا به وانّهم ان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة ان تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك انّنا اذا ظفرنا بهم لا نعترض الى ما اخذتَ من البلاد ونقنع بما فى ايدينا ، وارسل اليه كشلى خان ملك التتر [يقول] انّ هولآء الخطا اعداوك واعدا ابآيك واعداونا فساعدنا

عليهم ونحلف انّنا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التى ينزلونها فاجاب كلّا منهما انّى معك ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره الى ان نزل قريبًا من الموضع الذى تصافّوا فيه فلم يخالطهم مخالطة يعلم بها انّه من احدها فكانت كلّ طايفة منهم تظنّ انّه معها وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينيذ خوارزم شاه وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك احدًا ينجوا منهم فلم يَسْلم منهم الّا طايفة يسيرة مع ملكهم فى موضع من نواحى الترك يحيط به جبال ليس اليه طريق الّا من جهة واحدة تحصّنوا فيه وانضمّ الى خوارزم شاه منهم طايفة وساروا فى عسكره وانفذ خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر يمنّ عليه بانّه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكّن من الخطا فاعترف له كشلى خان بذلك مدّة ثمّ ارسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما انّنا اتّفقنا على ابادتهم ينبغى ان نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندى الّا غير السيف ولستم باقوى من الخطا شوكة ولا اعزّ ملكًا فان قنعتَ بالمساكتة والّا سرتُ اليك وفعلتُ بك شرًّا ممّا فعلتُ بهم وتجهّز وسار حتّى نزل قريبًا منهم وعلم خوارزم شاه انّه لا طاقة له به فكان يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزم شاه اهله واثقالهم فينهبها واذا سمع انّ طايفة سارت عن موطنهم سار اليها فاوقع بها فارسل اليه كشلى خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص والّا ان كنتَ سلطانًا كما تقول فيجب ان نلتقى فامّا ان تهزمنى وتملك البلاد التى بيدى وامّا ان افعل انا بك ذلك فكان يُغالطه ولا يجيبه الى ما طلب لكنّه امر اهل الشاش[1] وفرغانة واسفيجاب[2] وكاسان وما حولها من المدن التى لم يكن فى الدنيا انزه منها ولا احسن عمارة بالجلا منها واللحاق ببلاد الاسلام ثمّ خرّبها جميعها خوفًا من التتر ان يملكوها ثمّ اتّفق خروج هولآء التتر الاخر الذين خرّبوا الدنيا وملكهم جنكزجان النهرجى على كشلى خان التتر الاوّل فاشتغل بهم كشلى خان عن خوارزم شاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان ☆

(1 الشاس

(2 واسبحان

ذكر مُلك نجم الدين بن الملك العادل خلاط

في هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين ايّوب بن الملك العادل ابى بكر بن ايّوب مدينة خلاط وسبب ذلك انّه كان بمدينة ميّافارقين من جهة ابيه فلمّا كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو مدينة مُوش وحصرها واخذها واخذ غيرها مما يجاورها وكان بلبان لم تثبت قدمه حتّى يمنعه فلمّا ملكها طمع في خلاط فسار اليها فهزمه بلبان كما ذكرناه ايضًا فعاد الى بلده وجمع وحشد وسيّر اليه ابوه جيشًا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافّا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكّن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وارسل رسولًا الى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان وهو صاحب ارزن الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما نجم الدين وحصرا موش فاشرف للحصار على ان تملك فغدر ابن قلج ارسلان بصاحب خلاط وقتله طمعًا في البلاد فلمّا قتله سار الى خلاط فمنعه اهلها عنها فسار الى ملازكرد فردّه اهلها ايضًا وامتنعوا عليه فلمّا لم يجد في شئ من البلاد مطمعًا عاد الى بلده فارسل اهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليُملكوه فحضر عندهم وملك خلاط واعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له مُلكه لها خوفًا من ابيه وكذلك ايضًا خافه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على اعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقى المسلمون من ذلك اذًى شديدًا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من اعظم الحصون وامنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فارسل نجم الدين الى ابيه الملك العادل يعرّفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمدّه بعسكر فسيّر اليه اخاه الملك الاشرف موسى بن العادل في عسكر فاجتمعا في عسكر كثير وحصرا قلعة وان وبها الخلاطيّة وجدّوا في قتالهم فضعُف اوليك عن مقاومتهم فسلّموها صلحًا وخرجوا منها وتسلّمها نجم الدين واستقرّ مُلكه بخلاط واعمالها وعاد اخوه الاشرف الى بلده حرّان والرُّها ☆

ذكر غارات الفرنج بالشام

وفى هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد واكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرًا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمّد ابن شيركوه بهم قوّة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازى صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده احدٌ الّا الظاهر فانّه سيّر له عسكرًا اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثمّ انّ الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكّا فصالحه صاحبها الفرنجىّ على قاعدة استقرّت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثمّ سار الى حمص فنزل على بُحيرة قدس وجآته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس حاصر موضعًا يسمّى القليعات واخذه صلحًا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دوابّ وسلاح وخرّبه وتقدّم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فلم تستقرّ قاعدة ودخل الشتآء وطلبت العساكر الشرقيّة العود الى بلادهم قبل البرد فنزل طايفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتّى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى اماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر انّ اهل قبرس الفرنج اخذوا عدّة قطع من اسطول مصر واسروا مَن فيها فارسل العادل الى صاحب عكّا فى ردّ ما اخذوا ويقول نحن صُلحٌ فَلِمَ غدرتم باصحابنا فاعتذر بانّ اهل قبرس ليس لى عليهم حكم وانّ مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينيّة ثمّ انّ اهل قبرس ساروا الى القسطنطينيّة بسبب غلآء كان عندهم تعذّرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكّا واعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حالٌ فخرج بالعساكر وفعل بعكّا ما ذكرنا فاجابه حينيذٍ صاحبها الى ما طلب وارسل الاسرى ☆

ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من اهلها

لمّا تمّ ملك خلاط واعمالها للملك الاوحد نجم الدين ابن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرّر قواعدها ايضًا ويفعل ما ينبغى ان يفعله فيها فلمّا فارق خلاط وثب اهلها على مَن بها من العسكر فاخرجوه من

عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها اصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميّتًا يعنون بذلك ردّ الملك الى اصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف اهلها فمال البه بعضهم حسدًا للاخرين فملكها وقتل بها خلقًا كثيرًا من اهلها واسر جماعة من الاعيان فسيّرهم الى ميّافارقين وكان كلّ يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يَسلم الّا القليل وذلّ اهل خلاط بعد هذه الواقعة وتفرّقت كلمة الفتيان[1] وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرّهم فانّهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكًا ويقتلون اخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانّما الحكم لهم واليهم ☆

ذكر مُلك ابى بكر بن البهلوان مراغة

فى هذه السنة ملك الامير نصرة الدين ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك انّ صاحبها علآء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفلٌ وقام بتدبير دولته وتربيّته خادم كان لابيه فعصى عليه اميرٌ كان مع ابيه وجمع جمعًا كثيرًا فارسل اليه الخادم مَن عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا واستقرّ ملك ولد علآء الدين الّا انّه لم تطُل ايّامه حتّى توفّى فى اوّل سنة خمس وستّمايَة وانقرض اهل بيته ولم يبق منهم احد فلمّا توفّى سار نصرة الدين ابو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ما عدا قلعة روين دز[2] فانّها اعتصم بها الخادم وعنده الخزاين والذخاير فامتنع بها على الامير ابى بكر ☆

ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ من اهل الرىّ من بيت كبير فقدم بغداد لمّا ملك مؤيّد الدين ابن القصّاب وزير الخليفة الرىّ ولقى من الخليفة قبولًا فجعله نايب الوزارة ثمّ جعله وزيرًا وحكم ابنَه صاحب المخزن ؛ فلمّا كان فى الثانى والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة عُزل واغلق بابه وكان سبب عزله انّه اساء السيرة مع

---

[1]) الفسان [2]) C. P. 740.: زوقدر Ups.: روندر

اكابر مماليك الخليفة فنهم امير الحاجّ مظفّر الدين سنقر المعروف بوجع السبُع فانّه هرب من يده الى الشام سنة ثلاث وستّمائة فارق الحاجّ بالمرخوم وارسل يعتذر ويقول انّ الوزير يريد ان لا يبقى فى خدمة الخليفة احدًا من مماليكه لا شكّ يريد يدّعى الخلافة وقال الناس فى ذلك فاكثروا وقالوا الشعر فن ذلك قول بعضهم

الّا مبلغ عنى الخليفة احمدًا ... اتَوَثّق وقيت السوء ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرَيْن فيهما ... فعَالك يا خير البريّة ضايع
فان كان حقًّا من سُلالة احمد ... فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدّعى غير صادق ... فاضيع ما كانت لديه الصنايع

فعزله وقيل فى سبب ذلك غيره ولمّا عُزل ارسل الى الخليفة يقول انّى قدمتُ الى هاهنا وليس لى دينار ولا درهم وقد حصل لى من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة الاف دينار ويسال ان يوخذ منه للجيع ويمكّن من المقام بالمشهد اسْوَةً ببعض العلويّين فاجابه انّنا ما انعمنا عليك بشئ فنوبنا اعادته ولو كان ملئ الارض ذهبًا ونفسك فى امان الله وامااننا ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك غير انّ الاعدآء قد اكثروا فيك فاختر لنفسك موضعًا تنتقل اليه موقّرًا محترمًا فاختار ان يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة ليلّا يتمكّن منه العدوّ فتذهب نفسه ففعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبًا الى الناس حسن اللقآء لهم والانبساط معهم عفيفًا عن اموالهم غيرُ ظالم لهم فلمّا قبض عاد امير الحاجّ من مصر فى الخدمة العادليّة وعاد ايضًا قشتمر واقيم فى النيابة فى الوزارة فخر الدين ابو البدر محمّد بن احمد ابن أمْسينا الواسطىّ الّا انّه لم يكن متحكّما ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ليلة الاربعآء لخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنتُ حينيئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجآءت الاخبار من كثير من البلاد بانّها زلزلت ولم تكن بالقويّة، وفيها اطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حقّ البيع وما يوخذ من ارباب الامتعة من المكوس من ساير المبيعات وكان مبلغًا كثيرًا وكان سبب ذلك انّ

بنتًا لعزّ الدين نجاح شرابىّ الخليفة توفّيت فاشترى لها بقر لتذبح ويتصدّق بلحمها عنها فرفعوا فى حساب ثمنها مونة البقر فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وامر باطلاق المونة جميعها ، وفيها فى شهر رمضان امر الخليفة ببناء دور فى المحالّ ببغداد ليفطّر فيها الفقرآء وسمّيت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضان والخبز الجيّد عمل ذلك فى جانبىْ بغداد وجعل فى كلّ دار مَن يوثق بامانته وكان يعطى كلّ انسان قدحًا مملوًّا من الطبيخ واللحم ومنًّا من الخبز فكان يفطر كلّ ليلة على طعامه خلق لا يُحصون كثرة ، وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء فى خندق بغداد من ناحية باب كَلْواذى فخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسدّ الخندق وركب فخر الدين نايب الوزارة وعزّ الدين الشرابى ووقفا ظاهر البلد فلم يبرحا حتى سدّ الخندق ، وفيها توفّى الشيخ حنبل بن عبد الله بن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان على الاسناد روى عن ابن للحصين مسند احمد بن حنبل وله اسناد حسنٌ وقدم الموصل وحدّث بها وبغيرها ☆

سنة ٦٠٥ ثم دخلت سنة خمس وستّمائة ،

ذكر مُلك الكرج ارجيش وعودهم عنها

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوةً ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها واسروا وسبَوا اهلها واحرقوها وخرّبوها بالكلّية ولم يبق بها من اهلها احدٌ اصبحت خاوية على عروشها كانْ لم تغن بالامس ، وكان نجم الدين ايّوب صاحب ارمينيّة بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من اهل خلاط لما كان اسلف اليهم من القتل والاذى خاف ان يخرج منها فلا يمكّن من العود اليها ، فلمّا لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم سالمين لم يذعرهم ذاعرٌ وهذا جميعه وان كان عظيمًا شديدًا على الاسلام واهله فانّه يسير بالنسبة الى ما كان ممّا نذكره سنة اربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستّمائة ☆

ذكر قَتْل سنجر شاه ومُلك ابنه محمود

في هذه السنة قُتل سنجر شاه ابن غازي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عمّ نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازي ولقد سلك ابنه في قتله طريقًا عجيبًا يدلّ على مكر ودهآء وسبب ذلك انّ سنجرًا كان سيئ السيرة مع الناس كلّهم من الرعيّة والجند والحريم والاولاد وبلغ من قبح فعله مع اولاده انّه سيّر ابنيْه محمودًا ومودودًا الى قلعة فرح من بلدّ الزوزان واخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة اسكنه فيها ووكّل به مَن يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعيّة فكان يدخل اليه منها الحيات والعقارب وغيرها من الحيوان المؤذي ففي بعض الايّام اصطاد حيّة وسيّرها في منديل الى ابيه لعلّه يرقّ له فلم يعطف عليه فاعمل الحيلة حتّى نزل من الدار التي كان بها واختفى ووضع انساناً كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل واظهر انّه غازي بن سنجر فلمّا سمع نور الدين بقربه منها ارسل نفقة وثيابًا وخيلًا وامره بالعود وقال انّ اباك يتجنّى لنا الذنوب التي لم نعملها ويقبّح ذكرنا فاذا صرتَ عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والشفاعات ونقع معه في صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام ، واما غازي بن سنجر فانّه تسلّف الى دار ابيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به اكثر من بالدار فسترت عليه بغضًا لابيه وتوقعًا للخلاص منه لشدّته عليهنّ فبقي كذلك وترك ابوه الطلب له ظنًّا منه انّه بالشام [فاتّفق] انّ اباه في بعض الايّام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمآيه فكان يقترح على المغنّين ان يغنّوا في الفراق وما شاكل ذلك ويبكي ويُظهر في قوله قرب الاجل ودنوّ الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى اخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه ففي الليل دخل الخلآء وكان ابنه عند تلك الحظيّة فدخل اليه فضربه بالسكّين اربع عشرة ضربة ثمّ ذبحه وتركه ملقًى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجواري فلو فتح باب الدار واحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنّه امن واطمأنّ ولم يشكّ في الملك ، فاتّفق انّ بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاذ دار سنجر

Digitized by Google

الخبر فاحضر اعيان الدولة وعرّفهم ذلك واغلق الابواب على غازى واستحلف الناس لمحمود بن سنجر شاه وارسل اليه احضره من فرح ومعه اخوه مودود فلمّا حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار عل غازى ودخلوا عليه لياخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه والقوه على باب الدار فاكلت الكلاب بعض لحمه ثمّ دُفن باقيه ، ووصل محمود الى البلد وملكه ولقب بعزّ الدين لقب ابيه فلمّا استقرّ اخذ كثيرًا من الجوارى اللواتى لابيه فغرّقهنّ فى دجلة ، ولقد حدّثنى صديق لنا انّه راى بدجلة فى مقدار غلوة سهم سبع جوارى مغرّقات منهنّ ثلاث قد احرقت وجوههنّ بالنار فلم اعلم سبب ذلك لحريق حتّى حدّثنى جارية اشتريتُها بالموصل من جواريه انّ محمودًا كان ياخذ الجارية فيجعل وجهها فى النار فاذا احترقت القاها فى دجلة وباع من لم يغرّقه منهنّ فتفرّق اهل تلك الدار ايدى سبا ، وكان سنجر شاه قبيح السيرة ظالمًا غاشمًا كثير المخاتلة والموازبة والنظر فى دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيّته وغيرهم من اخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريقًا وَعْرًا من قطع الالسنة والانوف والاذان واما اللحا فانّه حلف منها ما لا يحصى وكان جُل فكره فى ظُلم يفعله وبلغ من شدّة ظلمه انّه كان اذا استدعى انسانًا ليُحسن اليه لا يصل الّا وقد قارب الموت من شدّة الخوف واستعلى فى ايّامه السفهآء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرّق اهله لا جرم سلط اللّه عليه اقرب الخلق اليه فقتله ثمّ قتل ولده غازى وبعد قليل قتل ولده محمود اخاه مودودًا وجرى فى داره من التحريق والتغريق والتفريق ما ذكرنا بعضه ولو رُمنا شرح قبيح سيرته لطال واللّه تعالى بالمرصاد كلّ ظالم ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ثانى المحرّم توفّى ابو الحسن ورام ابن ابى فراس الزاهد بالحلّة السيفيّة وهو منها وكان صالحًا ، وفى صفر توفّى الشيخ مصدق ابن شبيب النحوى وهو من اهل واسط ، وفى شعبان توفّى القاضى محمّد بن احمد ابن المندائى الواسطىّ بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عالٍ وهو اخر مَن حدّث بمسند احمد بن حنبل على ابن الحصين ،

Digitized by Google

وفيه توفّى القوام ابو فراس نصر بن ناصر بن مكى المدايني صاحب المخزن ببغداد وكان اديبًا فاضلاً كامل المروءة يحبّ الادب واهله ويحبّ الشعر ويحسن الجوايز عليه ولمّا توفّى ولى بعده ابو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين ابى الفرج بن رئيس الروسآء واكرم وأُعلى محلّه فبقى متولّيًا الى سابع ذى القعدة وعزل لعجزه ، وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان اشدّها بنيسابور وخرج اهلها الى الصحرآء ايّامًا حتّى سكنت وعادوا الى عساكنهم ☆

ثم دخلت سنة ستّ وستّمايئة ، سنة ٦٠٦

ذكر مُلك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتّفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين

فى هذه السنة ملك العادل ابو بكر بن ايّوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهو بيد قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود وسبب ذلك انّ قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمّه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدّم ذكر ذلك فلمّا كان سنة خمس وستّمايئة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فانّ ولد العادل تزوّج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزرآء يحبّون ان يشتغل عنهم فحسّنوا له مراسلة العادل والاتّفاق معه على ان يقتسما بالبلاد التى لقطب الدين وبالولاية التى لولد سنجر شاه بن غازى بن مودود وهى جزيرة ابن عمر واعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هَوَى نور الدين فارسل الى العادل فى المعنى فاجابه الى ذلك مستبشرًا وجآءه ما لم يكن يرجوه لانّه علم انّه متى ملك هذه البلاد اخذ الموصل وغيرها واطمع نور الدين ايضًا فى ان يعطى هذه البلاد اذا ملكها لولده الذى هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه فى خدمته بالموصل واستقرّت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفراة فى عساكره وقصد الخابور فاخذه فلمّا سمع نور الدين بوصوله كانّه خاف واستشعر فاحضر من يرجع

الى رايهم وقولهم وعرّفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فامّا مَن اشار عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظّم الامر واشار بالاستعداد للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخاير وما يحتاج اليه فقال نور الدين نحن فعلنا ذلك وخبّره الخبر فقال باىّ راى تجىّ الى عدوّ لك هو اقوى منك واكثر جمعًا وهو بعيد منك متى تحرّك لقصدك تعلم به فلا يصل الّا وقد فرغت من جميع ما تريده تسعى حتّى يصير قريبًا منك ويزداد قوّة الى قوّته ثمّ انّ الذى استقرّ بينكما انّه لم يملكه اوّلًا بغير تعب ولا مشقّة وتبقى انت لا يمكنك ان تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها والعادل هاهنا هذا ان وَفَى لك بما استقرّت القاعدة عليه لا يجوز ان تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانّه قد صار له ملك خلاط وبعض ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد اولاده فمتى سرت عن الموصل امكنهم ان يحولوا بينك وبينها فما زدت على ان اذيتَ نفسك وابن عمّك وقوّيتَ عدوّك وجعلتَه شعارك وقد فات الامر وليس يجوز الّا ان تقف معه على ما استقرّ بينكما ليُلًا يجعل لك حجّة ويبتدى بك ء هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار فحصرها وكان فى عزم صاحبها قطب الدين ان يسلّمها الى العادل بعوض ياخذه عنها فمنعه من ذلك اميرٌ كان معه اسمه احمد بن برنقش مملوك ابيه زنكى وقام بحفظ المدينة والذبّ عنها وجهّز نور الدين عسكرًا مع ولده الملك القاهر ليسيروا الى الملك العادل فبينما الامر على ذلك اذ جاءهم امرٌ لم يكن لهم فى حساب وهو انّ مظفّر الدين كوكبرى صاحب اربل ارسل وزيرَه [الى] نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن سنجار وانّ الاتّفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلًا فوقب مقابل دار نور الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين ليلًا وابلغه الرسالة فاجاب نور الدين الى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفّر الدين واجتمع هو ونور الدين ونزلا بعساكرهما بظاهر الموصل ء وكان سبب ما فعله مظفّر الدين انّ صاحب سنجار ارسل ولدَه الى مظفّر الدين يستشفع به الى العادل ليبقى عليه سنجارًا وكان مظفّر الدين يظنّ انّه لو شفع فى نصف مُلك

العادل لشفقه لاثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذبّ عن ملكه غير مرّة كما تقدّم فشفع اليه فلم يشفّعه العادل ظنًّا منه انّه بعد اتّفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفّر الدين فلمّا ردّه العادل فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه ولمّا وصل الى الموصل واجتمع بنور الدين ارسلا الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بالاتّفاق معهما فكلّاهما اجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقآء على صاحب سنجار وارسلا ايضًا الى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولاً الى العادل فى الصلح ايضًا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحّاك استاذ الدار والامير اق باش وهو من خواصّ مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل وهو يحاصر سنجارًا وكان مَن معه لا يناصحونه فى القتال لا سيّما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانّه كان يُدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرًا ولا يقاتل عليها وكذلك غيره فلمّا وصل رسول الخليفة الى العادل اجاب اوّلاً الى الرحيل ثمّ امتنع عن ذلك وغالط وأطال الامر لعلّه يبلغ منها غرضًا فلم ينل منها ما امّله واجاب الى الصلح على ان له ما اخذ وتبقى سنجار لصاحبها واستقرّت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلّهم وعلى ان يكونوا يدًا واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حرّان وعاد مظفّر الدين الى اربل وبقى كلّ واحد من الملوك فى بلده وكان مظفّر الدين عند مقامه بالموصل قد زوّج ابنتَيْن له بولدَيْن لنور الدين وهما عزّ الدين مسعود وعماد الدين زنكى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل عُزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة وأُلزم بيته ثمّ نُقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولى بعده نيابة الوزارة مكين الدين محمّد بن محمّد بن برز[1]

---

[1]) C. P. 740 et Ups.: برر

القمّىّ كاتب الانشآء ولُقّب مؤيّد الدين ونُقل الى دار الوزارة مقابل باب النوبىّ ، وفيها فى شوّال توفّى مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعىّ مدرّس النظاميّة ببغداد ، وفيها توفّى فخر الدين ابو الفضل محمّد بن عمر بن خطيب الرىّ الفقيه الشافعىّ صاحب التصانيف المشهورة فى الفقه والاصولَيْن وغيرهما وكان امام الدنيا فى عصره وبلغنى انّ مولده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ، وفيها سلخ ذى الحجّة توفّى اخى مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم الكاتب مولده فى احد الربيعَيْن سنة اربع واربعين وكان عالمًا فى عدّة علوم منها الفقه والاصولَيْن والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة فى التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسايل مدوّنة وكان كاتبًا مغلقًا يُضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضى عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعلّ من يقف على ما ذكرتُه يتّهمنى فى قولى ومَن عرفه من اهل عصرنا يعلم انّى مقصر ، وفيها توفّى المجد المطرزىّ النحوىّ الخوارزمىّ وكان امامًا فى النحو له فيه تصانيف حسنة ، وفيها توفّى المؤيّد بن عبد الرحيم ابن الاخوة باصفهان وهو من اهل الحديث رحمه الله ۞

ثم دخلت سنة سبع وستّمائة ،

سنة ٦٠٧

ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولّاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين امير الحاجّ كما ذكرناه فلمّا كان سنة ستّ وستّمائة بدا منه تغيّر عن الطاعة فروسل فى القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن التغلّب على البلاد فبقى الامر كذلك الى ربيع الاوّل من هذه السنة فتقدّم الخليفة الى مؤيّد الدين نايب الوزارة والى عزّ الدين بن نجاح الشرابى خاصّ الخليفة بالمسير بالعساكر اليه بخوزستان واخراجه عنها فسارا فى عساكر كثيرة فلمّا تحقّق سنجر قصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو اتابك عزّ الدين سعد بن دكلا ملتجيًا اليه فاكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان فى ربيع الاخر بغير ممانعة فلمّا استقرّوا فى البلاد

وراسلوا سنجرًا يدعونه الى الطاعة فلم يُجب الى ذلك فساروا الى ارّجان عازمين على قصد صاحب شيراز فادركهم الشتآء فاقاموا شهورًا والرسل مترددة بينهم وبين صاحب شيراز[1] فلم يجبهم الى تسليمه فلمّا دخل شوّال رحلوا يريدون شيراز فحينيئذ ارسل صاحبها الى الوزير والشرابى يشفع فيه ويطلب العهد له على ان لا يوذى فأُجيب الى ذلك وسلّمه اليهم هو وماله واهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار ووتى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوت امير الحاجّ ووصل الوزير الى بغداد فى المحرّم سنة ثمان وستّمائة هو والشرابى والعساكر وخرج اهل بغداد الى تلقّيهم فدخلوها وسنجر معهم راكبًا على بغل باكاف وفى رجله سلسلتان فى يد كل جندىّ سلسلة وبقى محبوسًا الى ان دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامرآء والاعيان الى دار مؤيّد الدين نايب الوزارة فأُحضر سنجر وقُرّر بامور نسبتْ اليه منكرة فاقرّ بها فقال مؤيّد الدين للناس قد عرفتم ما يقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا امير المؤمنين عنه وامر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل انّ اتابك سعد نهب مال سنجر وخزانته ودوابّه وكلّ ما له ولاصحابه وسيّرهم فلمّا وصل سنجر الى الوزير والشرابى طلبوا المال فارسل شيأً يسيرًا والله اعلم ☆

ذكر وفاة نور الدين ارسلان شاه وشئ من سيرته

فى هذه السنة اواخر رجب توفّى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدّة مُلكه سبع عشرة سنة واحد عشر شهرًا وكان شهمًا شجاعًا ذا سياسة للرعايا شديدًا على اصحابه فكانوا يخافونه خوفًا شديدًا وكان ذلك مانعًا من تعدّى بعضهم على بعض وكان له همّة عالية اعاد ناموس البيت الاتابكىّ وجاهه وحُرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة فى طلب الملك الّا انّه لم يكن له صبرٌ فلهذا لم يتّسع مُلكه ولو لم يكن له من الفضيلة الّا انّه لمّا رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرناه سنة خمس

---

[1]) Repetuntur: فادركهم الشتآء فاقاموا شهورًا

وتسعين وخمسمائة عفّ عنها وابقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوّة الامتناع لانّ مَن كان بها كانوا قد هلكوا او ضجروا ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولمّا ملك استغاث اليه انسان من التجار فسأل عن حاله فقيل انّه قد ادخل ثاشه الى البلد ليبيعه فلم يتمّ له البيع ويريد اخراجه وقد مُنع من ذلك فقال مَن منعه فقيل ضامن البزّ يريد منه ما جرت به العادة من المكس وكان القيّم بتدبير مملكته مجاهد الدين قَايماز وهو الى جانبه فساله عن العادة كيف هي [فقال][1] ان اشترط[2] صاحبه اخراج متاعه[3] مُكّن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتّى يوخذ ما جرت العادة باخذه فقال والله انّ هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاىّ شئ يوخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لا شكّ فى فساد هذه العادة فقال اذا قلتُ انا وانت انّها عادةٌ فاسدة فما المانع من تركها وتقدّم باخراج مال الرجل وان لا يوخذ الّا ممّن باع ، وسمعتُ اخى مجد الدين ابا السعادات رحمه الله وكان من اكثر الناس اختصاصًا به يقول ما قلتُ له يومًا فى فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى فى بعض الايّام اخى المذكور فركب الى داره فلمّا كان بباب الدار لقيته امراة وبيدها رقعة وهى تشكو وتطلب عرضها على نوُر الدين فاخذها فلمّا دخل اليه جاراه فى مهمّ له فقال قبل كلّ شئ تقف على هذه الرقعة وتقضى شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا اعلم الّا انّى رايت امراة بباب الدار وهى متظلّمة شاكية فقال نعم عرفتُ حالها ثمّ انزعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان هما المقيمان بامور دولته فقال لاخى ابصر الى اىّ شئ قد دفعت مع هذَيْن هذه المراة كان لها ابن وقد مات فى الموصل وهو غريب وخلّف قماشًا ومملوكَيْن فاحتاط نوّاب بيت المال على القماش واحضروا المملوكَيْن الينا فبقيا عندنا ننتظر مَن يستحقّ التركة لياخذها فحضرت هذه المراة ومعها كتاب حُكمى بانّ المال الذى مع ولدها لها فتقدّمنا بتسليم

---

[3]) Ups. addit: ان [2]) C. P. et 740. Ups.: شرط [1]) C. P. et 740.

مالها اليها وقلتُ لهذَيْن اشتريا المملوكَيْن منها وانصفاها فى الثمن فعادا وقالا لم يتمّ بيننا بيع لانّها طلبت ثمنًا كثيرًا فامرتُهما باعادة المملوكَيْن اليها من مدّة شهرين واكثروا الى الآن ما عُدت سمعتُ لها حديثًا وظننتُ انّها اخذت مالها ولا شكّ انّهما لم يُسلّما المملوكَيْن اليها وقد استغاثت اليهما فلم يُنصفاها فجآت اليك وكلّ مَن راى هذه المراة تشكوا وتستغيث يظنّنى انّى انا منعتُها عن مالها فيذمّنى وينسبنى الى الظلم وليس لى علم وكلّ هذا فِعْل هذَيْن اشتهى ان تتسلّم انت المملوكَيْن وتسلّمهما اليها فاخذت المراة مالها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا تُطوّل بذكره ☆ .

ذكر ولاية ابنه الملك القاهر

لمّا حضر نور الدين الموت امر ان يرتّب فى المُلك بعده ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود وحلّف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدّة فجدّد العهد له عند وفاته واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى قلعة عقر الحميديّة وقلعة شوش[1] وولايتها وسيّره الى العقر وامر ان يتولّى تدبير مملكتها ويقوم بحفظها والنظر فى مصالحها فتاه الامير بدر الدين لؤلؤ لما راى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينيئذ [عشر سنين] ولمّا اشتدّ مرضه وايس من نفسه امره الاطبّآء بالانحدار الى الخامّة المعروفة بعين القيارة[2] وهى بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضعفًا فاخذه بدر الدين واصعده فى الشبّارة الى الموصل فتوفّى فى الطريق ليلًا ومعه الملّاحون والاطبّآء بينه وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلمّا توفّى نور الدين قال لهما لا يسمع احدٌ بموته وقال للاطبّآء والملّاحين لا يتكلّم احدٌ فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل فى الليل فامر الاطبّآء والملّاحين بمفارقة الشبّارة ليلًا يروه ميّتًا وابعدوا فحمله هو والمملوكان وادخله الدار وتركه فى الموضع الذى كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لا يمكن احدًا من

شوس (1 العمارة (2

الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضى امورًا كان يحتاج الى اتمامها فلمّا فرغ من جميع ما يريده اظهر موته وقت العصر ودُفن ليلًا بالمدرسة التى انشاها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطًا جيّدًا بحيث انّ الناس فى البلد لم يزالوا متردّدين لم يعدم من احد مقدار الحبّة الفرد واستقرّ المُلك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر فى مصالحها ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى شهر ربيع الاخر درّس القاضى ابو زكريّا ابن القاسم بن المفرّج قاضى تكريت بالمدرسة النظاميّة ببغداد استُدعى من تكريت اليها ، وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصًا كثيرًا حتّى كان يجرى المآء ببغداد فى نحو خمسة اذرع وامر الخليفة ان يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلّما حفروا شيئًا عاد الرمل غطّاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يُعهد مثله ، وحجّ بالناس هذه السنة علآء الدين محمّد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاجّ وكان قد ولّاه الخليفة خوزستان وجعله هو امير الحاجّ وجعل معه مَن يدبّر الحاجّ لانّه كان صبيًّا ، وفيها فى العشرين من ربيع الاخر توفّى ضيآء الدين احمد عبد الوهّاب بن علىّ بن عبد الله الامير البغدادىّ ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيًّا فقيهًا محدّثًا سمعنا معه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح ، وفيها توفّى شيخنا ابو حفص عمر بن محمّد بن المعمّر بن طبرزد البغدادىّ وكان عالى الاسناد ۞

سنة ٦٠٨ ثم دخلت سنة ثمان وستّمائة ،

ذكر استيلآء منكلى على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش

فى هذه السنة فى شعبان قدم ايتغمش صاحب همذان واصفهان والرىّ وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربًا من منكلى وسبب ذلك انّ ايتغمش كان قد تمكّن فى البلاد وعظم شانه وانتشر صيته وكثر عسكره حتّى انّه حصر صاحبه ابا بكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان وارّان كما ذكرناه فلمّا كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلى ونازعه

فى البلاد وكثر اتباعه واطاعه المماليك البهلوانيّة فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين اينغمش الى بغداد فلمّا وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال له فى اللقآء فخرج الناس كافّة وكان يوم وصوله مشهودًا ثمّ قدمت زوجته فى رمضان فى محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها واقام ببغداد الى سنة عشر وستّمايئة فسار عنها فكان من امره ما نذكره ☆

ذكر نهب الحاجّ بمنًى

وفى هذه السنة نُهب الحاجّ بمنًى وسبب ذلك انّ باطنيًّا وثب على بعض اهل الامير قتادة صاحب مكّة فقتله بمنًى ظنًّا منه انّه قتادة فلمّا سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد واهل مكّة وقصدوا الحاجّ ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان امير الحاجّ ولد الامير ياقوت المقدّم ذكره وهو صبىّ لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحيّر وتمكّن امير مكّة من نهب الحاجّ فنهبوا منهم مَن كان فى الاطراف واقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاجّ وباتوا باسوآء حال من شدّة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاجّ لينتقل بالحجاج الى منزلة حجاج الشام فامر بالرحيل فرفعوا اثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدوّ فيهم وتمكّن من النهب والخطف مَن سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثمّ رحلوا الى الزاهر ومُنعوا من دخول مكّة ثمّ اذن لهم فى ذلك فدخلوها وتمّموا حجّتهم وعادوا ثمّ ارسل قتادة ولده وجماعة من اصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا بما جرى على الحجاج ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اظهر الاسماعيليّة ومقدّمهم جلال الدين ابن فلان بن حسن بن الصباح الانتقال عن فعل المحرّمات واستحلالها وامر باقامة الصلوات وشرايع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وارسل مقدّمهم رسلًا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وارسل والدته الى الحجّ فأُكرمت ببغداد اكرامًا عظيمًا وكذلك بطريق مكّة ، وفيها سلخ جمادى الاخرة توفّى ابو حامد محمّد بن يونس بن ميعة الفقيه الشافعىّ بمدينة الموصل وكان امامًا فاضلًا اليه انتهت رياسة الشافعيّة لم يكن فى زمانه مثله وكان

حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهآء والاحسان اليهم رحمه الله ، وفيها في شهر ربيع الاوّل توفّى القاضى ابو الفضايل علىّ بن يوسف بن احمد بن الآمدىّ الواسطىّ قاضيها وكان نعم الرجل ، وفيها فى شعبان توفّى المعين ابو الفتوح عبد الواحد بن ابى احمد بن علىّ الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كاس مضى اليها رسولًا من الخليفة وكان من اصدقآئنا وبيننا وبينه مودّة متاكّدة ومحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيّد وكان عالمًا بالفقه وغيره ولمّا توفّى رتب اخوه زين الدين عبد الرزّاق ابن ابى احمد وكان ناظرًا على المارستان العضدىّ فتركه واقتصر على الرباط ، وفيها فى ذى الحجّة توفّى محمّد بن يوسف بن محمّد بن عبيد الله النيسابورىّ الكاتب الحسن الخطّ وكان يؤدّى طريقة ابن البوّاب وكان فقيهًا حاسبًا متكلّمًا ، وفيها توفّى عمر بن مسعود ابى العزّ ابو القاسم البزّاز البغدادىّ بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقرآء كثيرًا ويحسن اليهم ، وتوفّى ايضًا ابو سعيد الحسن بن محمّد بن الحسن بن حمدون الثعلبىّ العَدَوىّ وهو ولد مصنّف التذكرة وكان عالمًا ۞

سنة ٩٠٩ ثم دخلت سنة تسع وستّمائة ،

ذكر قدوم ابن منكلى بغداد

فى هذه السنة فى المحرّم قدم محمّد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك انّ اباه منكلى لمّا استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف ان يساعده الخليفة ويرسل معه العساكر فيعظم الامر عليه لانّه لم يكن قد تمكّن فى البلاد فارسل ولده محمّدًا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزل واكرم وبقى ببغداد الى ان قُتل ايتغمش فخلع عليه وعلى مَن معه وأُكرموا وسيّرهم الى ابيه ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قبض الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب مصر والشام على امير اسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن

Digitized by Google

كوكب من اعمال الاردنّ بالشام واخذ منه حصن كوكب وخرّبه وعفى اثره ومن بعده بنى حصنًا بالقرب منه على جبل يسمّى الطور وهو معروف هناك وشحنه بالرجال والذخاير والسلاح ، وفيها توفّى الفقيه محمّد بن اسمعيل بن ابى الصيف اليمنىّ فقيه الحرم الشريف بمكّة ۞

ثم دخلت سنة عشر وستمأية ، سنة ٦١٠

ذكر قتل ايتغمش

فى هذه السنة فى المحرّم قتل ايتغمش الذى كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان انّه قدم الى بغداد واقام بها فانعم عليه الخليفة وشرّفه بالخلع واعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيّره الى همذان فسار فى جمادى الاخرة عن بغداد قاصدًا الى همذان فوصل الى بلاد ابن ترجم[1] واجتمعا واقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرّت بينهم وكان للخليفة قد عزل سليمان ابن ترجم[1] عن الامارة على عشيرته من التركمان الايوانيّة[2] ووتّى اخاه الاصغر فارسل سليمان الى منكلى يعرّفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فاخذوه فقتلوه وحملوا راسه الى منكلى وتفرّق من معه من اصحابه فى البلاد لا يلوى اخ على اخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وارسل الى منكلى ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابًا شديدًا وتمكّن من البلاد وقوى امره وكثرت جموعه وعساكره وكان من امره ما نذكره ان شآء الله ۞

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس فى هذه السنة ابو فراس بن جعفر بن فراس الحلّى نيابةً عن امير الحاجّ [ابن] ياقوت ومُنع ابن ياقوت عن الحج لمّا جرى للحاجّ فى ولايته ، وفيها فى المحرّم توفّى الحكيم المهذب علىّ بن احمد بن مقبل الطبيب المشهور كان اعلم اهل زمانه بالطبّ روى الحديث وكان مقيمًا بالموصل وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن فى الطبّ ، وفيه توفّى اسمعيل بن علىّ البغدادىّ الفقيه الحنبلىّ صاحب ابن المنّى[3] ، وفيه توفّى ايضًا احمد بن مسعود التركستانىّ الفقيه الحنفىّ

[1]) Seu برجم Vid. *Journ. Asiat.* 1847, I. p. 178.
[2]) الايوانيه
[3]) C. P. Ups.: المنى

ببغداد وهو مدرّس مشهد ابى حنيفة ، وفيها فى جمادى الاولى توفّى معزّ الدين ابو المعالى سعد بن علىّ المعروف بابن حديد الذى كان وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد الزم بيته ولمّا توفّى حُمل تابوته الى مشهد امير المؤمنين علىّ ع بالكوفة وكان حسن السيرة فى وزارته كثير الخير والنفع للناس ۞

سنة ٦١١ ثم دخلت سنة احدى عشرة وستّمائة ،

ذكر مُلك خوارزم شاه علآء الدين كرمان ومكران والسند

هذه الحادثة لا اعلم الحقيقة اىّ سنة كانت انّما هى امّا هذه السنة او قبلها بقليل او بعدها بقليل لانّ الذى اخبر بها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد واقام بها عدّة سنين وسار مع الامير ابى بكر الذى فتح كرمان ثمّ عاد فاخبرنى بها على شكّ من وقتها وقد حضرها فقال خوارزم شاه محمّد بن تكش كان من جملة امرآء ابيه امير اسمه ابو بكر ولقبه تاج الدين وكان فى ابتدآء امره جمّالاً يكرى الجمال فى الاسفار ثمّ جآته السعادة فاتّصل بخوارزم شاه وصار سيروان جمّاله فراى منه جلدًا وامانة فقدّمه الى ان صار من اعيان امرآء عسكره فولّاه مدينة زوزن وكان عاقلاً ذا راى وحزم وشجاعة فتقدّم عند خوارزم شاه تقدّمًا كثيرًا فوثق به اكثر من جميع امرآء دولته فقال ابو بكر لخوارزم شاه انّ بلاد كرمان مجاورة لبلدى فلو اضاف السلطان الىّ عسكرًا لملكتُها فى اسرع وقت فسيّر معه عسكرًا كثيرًا فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه حرب بن محمّد بن ابى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايّام السلطان سنجر فقاتله فلم يكن له به قوّة وضعُف ذلك ابو بكر بلاده فى اسرع وقت وسار منها الى نواحى مكران فملكها كلّها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزم شاه وحمل عنها مالاً وخُطب له بقلهات وبعض عُمان لانّ اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بُعد الشقّة والبحر يقطع بينهم انّهم يتقرّبون اليه بالطاعة ليامن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فانّ هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار

من اقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز وبين صاحب كيش حروب ومغاورات وكلّ منهما ينهى اصحاب المراكب ان ترسى ببلد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزم شاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان ليلًا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُتل مؤيّد الملك الشحرىّ وكان قد وزر لشهاب الدين الغورىّ ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنًا الى العلماء واهل الخير يزورهم ويبرّهم ويحضر الجمعة ماشيًا وحده وكان سبب قتله انّ بعض عسكر الدز كرهوه وكان كلّ سنة يتقدّم الى البلاد للغارة بين يدى الدز اوّل الشتاء فسار هذه السنة كعادته فجاء اربعون نفرًا اتراكًا وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة فى عشرة نفر لمّا تجدّد فسار معهم جريدة فى عشرة مماليك فلمّا وصلوا الى نهوند بالقرب من ماء السند قتلوه وهربوا ثمّ انّهم ظفر بهم خوارزم شاه محمّد فقتلهم ، وفيها فى رجب توفّى الركن ابو منصور عبد السلام ابن عبد الوهّاب بن عبد القادر الجيلىّ البغدادىّ ببغداد وكان قد ولى عدّة ولايات وكان يتّهم بمذهب الفلاسفة حتّى انّه راى ابوه يومًا عليه قميصًا بخاريًّا فقال ما هذا القميص فقال بخارىٌّ فقال ابوه هذا عجبٌ ما زلنا نسمع مسلم والبخارىّ وامّا كافر والبخارىّ ما سمعنا واخذت كتبه قبل موته بعدّة سنين واظهرت فى ملاء من الناس ورُمى فيها من تبخير النجوم ومخاطبة زُحَل بالالهيّة وغير ذلك من الكفريات ثمّ أُحرقت بباب العامّة وحُبس ثمّ افرج عنه بشفاعة ابيه واستُعمل بعد ذلك ، وفيها ايضًا توفّى ابو العبّاس احمد بن هبة الله بن العلاء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالمًا بالنحو واللغة ، وفى شعبان منها توفّى ابو المظفّر محمّد بن علىّ بن البلّ[1] اللورىّ[2] الواعظ ودُفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائة ، وفى شوّال منها توفّى عبد العزيز ابن محمود بن الاخضر وكان من فضلاء المحدّثين وله سبع وثمانون سنة ☆

[1]) Ups.: اللل 740: البل [2]) C. P.: الدُورىّ 740: اللوزىّ

سنة ٦١٢ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وستّمائة ،

ذكر قتل منكلى وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همدان واصفهان والرىّ وما بينهم من البلاد ومضى هاربًا فقُتل وسبب ذلك انّه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فأرسل اليه من الديوان الخليفىّ رسولٌ ينكر ذلك عليه وكان اوحش الامير اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يحرضه على منكلى ويَعده النصرة وارسل ايضًا الى جلال الدين الاسماعيلىّ صاحب قلاع الاسماعيليّة ببلاد العجم ألموت وغيرها يامره بمساعدة اوزبك على قتال منكلى واستقرّت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها فلمّا استقرّت القواعد على ذلك جهّز الخليفة عسكرًا كثيرًا وجعل مقدّمهم مملوكه مظفّر الدين سنقر الملقّب بوجه السبُع وارسل الى مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ كوجك وهو اذذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يامره ان يحضر بعساكره ويكون مقدّم العساكر جميعها واليه المرجع فى الحرب فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همدان فاجتمعت العساكر كلّها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلّق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو فى اعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفىّ جميعه ومَن معهم فلو اقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشرة ايّام لكنّه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير اوزبك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك ومضى منهزمًا فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل من الغد فى جميع عسكره واصطفّت العساكر للحرب واقتتلوا اشدّ قتال يكون فانهزم منكلى وصعد الجبل فلو اقام بمكانه لم يقدر احد على الصعود اليه وكان قصارام العود عنه لكنّه اتّخذ الليل جملًا وفارق موضعه ومضى منهزمًا فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرّقوا فى ايدى سبا واستولى عسكر الخليفة واوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين

ملك الاسماعيليّة من البلاد ما كان استقرّ له واخذ الباقى اوزبك فسلّمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجّه الى خوارزم شاه علآء الدين محمّد وبقى عنده ثمّ عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولّاه اوزبك البلاد وعاد كلّ طايفة من العسكر الى بلادهم ، واما منكلى فانّه مضى منهزمًا الى مدينة ساوة وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستاذنه فى الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبّل الارض بين يديه وادخله البلد وانزله فى داره ثمّ اخذ سلاحه واراد ان يقيّده ويرسله الى اغلمش فساله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل راسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخولها يومًا مشهودًا الّا انّه لم تتمّ المسرّة للخليفة بذلك فانّه وصل ومات ولده فى تلك الحال فاعيد ودفن ۞

ذكر وفاة ابن الخليفة

فى هذه السنة فى العشرين من ذى القعدة توفّى ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقّب الملك المعظّم واسمه ابو الحسن علىّ وكان إحبّ ولدى الخليفة اليه وقد رشّحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريمًا كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبًا الى الخاصّ والعامّ وكان سبب موته انّه اصابه اسهال فتوفّى وحزن عليه الخليفة حزنًا لم يُسمع بمثله حتّى انّه ارسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يُعزّيه بولده ولم يقرأ كتابًا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ورُعى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولمّا توفّى أُخرج نهارًا ومشى جميع الناس بين يدى تابوته الى تربة بدّته عند قبر معروف الكرخىّ فدفن عندها ولمّا ادخل التابوت أُغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل انّ ذلك صوت الخليفة واما العامّة ببغداد فانّهم وجدوا عليه وجدًا شديدًا ودامت المناحات عليه فى اقطار بغداد ليلًا ونهارًا ولم يبق ببغداد محلّة الّا وفيها النوح ولم تبق امراة الّا واظهرت الحزن. وما سُمع ببغداد مثل ذلك فى قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول راس منكلى الى بغداد فانّ الموكب امر بالخروج الى لقآء الراس فخرج الناس كافّة فلمّا دخلوا

Digitized by Google

بالراس الى راس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فأُعيد الراس وهذا | دأب الدنيا لا يصفوا ابدًا فرحها من ترح وقد تخلّص مصايبها عن شايبة الترح ۞

ذكر ملك خوارزم شاه غزنة واعمالها

في هذه السنة في شعبان ملك خوارزم شاه محمّد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك انّ خوارزم شاه لمّا استولى على عامّة خراسان وملك باميان وغيرها ارسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدّمت اخباره حتّى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكّة باسمه ويرسل اليه فيلًا واحدًا ليصالحه بيده غزنة ولا يعارضه فيها فاحضر الامرآء واعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغوريّ ايضًا واليه الحكم في دولة الدز وهو النايب عنه بغزنة فقال الراى ان تخطب له وتُعطيه ما طلب وتستريح من الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان قوّة فقال الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه وخطب لخوارزم شاه وضرب السكّة باسمه وارسل اليه رسولًا واعاد رسوله اليه ومضى الى الصيد ، فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزم شاه يطلبه ليسلّم اليه غزنة فسار مجدًّا وسبق خبره فسلّم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلمّا دخل اليها قتل مَن بها من عسكر الغوريّة لا سيّما الاتراك ، فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده فيها ، فقيل هو الذى احضره وسلّم اليه فمضى هاربًا هو ومَن معه الى لهاوور واقام خوارزم شاه بغزنة فلمّا تمكّن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالمًا به وانّما اراد ان تكون له الحجّة عليه فقال كلانا مماليك شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الّا اربعة اشهر الصيف وانا الحاكم فيها والمرجع اليّ في كلّ امور فقال له خوارزم شاه اذا كنت لا ترعى لرفيقك ومَن احسن اليك صحبته واحسانه فكيف يكون حالى انا معك وما الذى تصنع مع ولدى اذا تركتُه عندك فقبض عليه واخذ منه اموالًا جمّة حملها ثلاثون دابّة من اصناف الاموال والامتعة واحضر اربع مايّة مملوك فلمّا اخذ ما له قتله وترك ولده جلال الدين بغزنة مع

جماعة من عسكره وامرأته وقيل انّ مُلك خوارزم شاه غزنه كان سنة ثلاث عشرة وستّمايّة ۞

ذكر استيلآء الدز على لهاوور وقتله

لمّا هرب الدز من غزنة الى لهاوور لقيه صاحبها ناصر الدين قباجة[1] وهو من مماليك شهاب الدين الغوريّ ايضًا ولهُ من البلاد لهاوور وملتان وأُوجَه وصَيْبُل[2] وغير ذلك الى ساحل البحر ومعه نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقى مع الدز نحو الف وخمسمايّة فارس فوقع بينهما مصافّ واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت الفيلة التى معه ولم يبق له غير فيلَيْن معه فى القلب فقال الفيّال اوذا اخاطر بسعادتك وامر احد الفيلَيْن ان يحمل على العلم الذى لقباجة ياخذه وامر الفيل الاخر الذى له ايضًا ان ياخذ الجتر الذى له فاخذه ايضًا والفيلة المعلّمة تفهم ما يقال لها هذا رايناه فحملت الفيلان وحمل معهما الدز فيمن بقى عنده من العسكر وكشف راسه وقال بالعجميّة ما معناه امّا مُلك وامّا هُلك واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان ما امرهما الفيّال من اخذ العَلَم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثمّ سار الى بلاد الهند ليملك مدينة دهلة وغيرها ممّا بيد المسلمين وكان صاحب دهلة امير اسمه الترمش ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضًا كان قد ملك الهند بعد سيّده فلمّا سمع به الترمش سار اليه فى عساكره كلّها فلقيه عند مدينة سماتا فاقتتلوا فانهزم الدز وعسكره وأُخذ وقُتل ۞ وكان الدز محمود السيرة فى ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعيّة لا سيّما التجار والغرباء ومن محاسن اعماله انّه كان له اولاد ولهم معلّم يعلّمهم فضرب المعلّم احدهم فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما حملك على هذا فقال والله ما اردتُ الّا تاديبه فاتّفق ان مات فقال صدقتَ واعطاه نفقة وقال له تغيّب فانّ امّه لا تقدر على الصبر فربّما اهلكتُك ولا اقدر امنع عنك فلمّا سمعت امّ الصبىّ بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من احسن ما يُحكى عن احد من الناس ۞

[1]) C. P. قراجة [2]) Ups.: ملتان واحه والديبل :740. وملتا واجر والريمل

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى الوجيه المبارك بن على الازهر سعيد بن الدّهان الواسطىّ النحوى الضرير كان نحريرًا فاضلًا قرأ على الكمال ابن الانبارىّ وعلى غيره وكان حنبليًّا فصار حنفيًّا ثمّ صار شافعيًّا فقال فيه ابو البركات بن زيد التكريتىّ

أَلَا مُبْلِغًا عنّى الوجيه رسالةً ... وان كان لا تجدى لديه الرسايلُ
تمذهبتَ[1] للنعمان بعد حنبل[2] ... وفارقتَه اذا[3] غوّرتْك الماكلُ
وما آختزتَ راى الشافعىّ تديّنًا ... ولكنّما تهوى الذى هو حاصلُ
وعمّا قليل انت لا شكّ صاير ... الى مالك فافطن لما انا قايلُ ☆

سنة ٦١٣ **ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستّمائة**

ذكر وفاة الملك الظاهر

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرها من بلاد الشام وكان مرضه اسهالًا وكان شديد السيرة ضابطًا لاموره كلّها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعرآء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن، ولمّا اشتدّت علّته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمّد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لانّ الصغير كانت امّه ابنة عمّه الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق وغيرها من البلاد فعهد بالملك له ليُبقى عمّه البلاد عليه ولا ينازعه فيها، ومن العجب ما يُحكى انّ الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولًا الى عمّه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اىّ حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بُدّ من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصّاب وحلف فاتّفق فى تلك الايّام

---

[1] تمذهب [2] ابن حنبل [3] اذ

توفّى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولمّا عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربّيه خادمًا روميًّا اسمه [طغريل] ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولمّا توفّى الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وازال كثيرًا من السنن الجارية واعاد املاكًا كانت قد أُخذت من اربابها وقام بتربيّة الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذّر على الظاهر مُلكه فمن ذلك تلّ باشر كان الملك الظاهر لا يقدر يتعرّض اليه فلمّا توفّى ملكها كيكاوش ملك الروم كما نذكره ان شآء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابنآء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعفّ عن اموال الرعيّة واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم فى وُلاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كلّ حسن وجميل ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم وقع بالبصرة بَرَدٌ كثير وهو مع كثرته عظيم القدر قيل كان اصغره مثل النارنجة الكبيرة وقيل فى اكبره ما يستحى الانسان يذكره فكسر كثيرًا من رؤس النخيل ، وفى المحرّم ايضًا سيّر الخليفة الناصر لدين الله ولدَيْ ابنه المعظّم علىّ الى تُستر وهما المؤيّد والموفّق وسار معهما مؤيّد الدين النايب عن الوزارة وعزّ الدين الشرابى فاقاما بها يسيرًا ثمّ عاد الموفّق مع الوزير والشرابى الى بغداد اواخر ربيع الاخر ، وفيها فى صفر هبّت ببغداد ريح سوداء شديدة كثيرة الغبار والقتام والقت رملًا كثيرًا وقلعت كثيرًا من الشجر فخاف الناس وتضرّعوا ودامت من العشآء الاخرة الى ثلث الليل وانكشفت ، وفيها توفّى التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندىّ ابو اليُمن البغدادىّ المولد والمنشا انتقل بالشام فاقام بدمشق وكان اماما فى النحو واللغة وله الاسناد العالى فى الحديث وكان ذا فنون كثيرة من انواع العلوم رحمه الله ۞

Digitized by Google

سنة ٦١٤ ثم دخلت سنة اربع عشرة وستمائة

ذكر مُلك خوارزم شاه بلد الجبل

فى هذه السنة سار خوارزم شاه علآء الدين محمّد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته فى هذا الوقت اشيآء احدها انّه كان قد استولى على ما ورآء النهر وظفر بالخطا وعظم امره وعلا شانه واطاعه القريب والبعيد ومنها انّه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضدّ لانّه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولاً وكان سبيله اذا ورد الى بغداد يقدّم غيره عليه ولعلّ فى عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه فكان اذا سمع ذلك يُغضبه ومنها انّ اغلمش لمّا ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرناه فلمّا قتله الباطنيّة غضب له وخرج ليُبلّا تخرج البلاد عن طاعته فسار مجدًّا فى عساكر تطبّق الارض فوصل الى الرىّ فملكها وكان اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لمّا بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعًا فى تملّكها لخلوّها عن حامٍ وممانع فوصل الى اصفهان فاطاعه اهلها وسار منها يريد الرىّ ولم يعلم بقدوم خوارزم شاه فلقيه مقدّمة خوارزم شاه فظنّها عساكر تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجدّ فى محاربتهم حتّى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذ هو قد ظهر له جتر خوارزم شاه فسأل عنه فاخبر به فاستسلم وانهزمت عساكره وأُخذ اسيرًا وحُمل الى بين يدى خوارزم شاه فاكرمه ووعده الاحسان والجميل وأمّنه على نفسه واستحلفه على طاعته واستقرّت القاعدة بينهما على ان يسلّم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها واطلقه وسيّر معه جيشًا الى بلاد فارس ليسلّم اليهم ما استقرّت القاعدة عليه فلمّا قدم على ولده الاكبر رءاه قد تغلّب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى ابيه ثمّ انّه ملك البلاد كما نذكره وخطب فيها لخوارزم شاه وسار خوارزم شاه الى ساوة فملكها واقطعها لعماد الملك عارض جيشه وهو من اهلها ثمّ سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلّها بغير ممانع ولا مدافع ثمّ سار الى همذان فملكها واقطع البلاد لاصحابه وملك اصفهان وكذلك

قُم وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرّت القاعدة بينه وبين اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وارّان بان يخطب له اوزبك في بلاده ويدخل في طاعته ، ثمّ انّه عزم على المسير الى بغداد فقدّم بين يديه اميرًا كبيرًا في خمسة عشر الف فارس واقطعه حُلوان فسار حتّى وصل اليها ثمّ اتبعه بامير اخر فلمّا سار عن همذان يومَيْن او ثلاثة سقط عليهم من الثلج ما لم يُسمع بمثله فهلكت دوابّهم ومات كثير منهم وطمع فيمن بقى بنو ترجم الاتراك وبنو هكّار الاكراد فتخطّفوهم فلم يرجع منهم الى خوارزم شاه الّا اليسير فتطيّر خوارزم شاه من ذلك الطريق وعزم على العود الى خراسان خوفًا من التتر لانّه ظنّ انّه يقضى حاجته ويفرغ من ارادته في المدّة اليسيرة فخاب ظنّه وراى البيكار بين يديه طويلًا فعزم على العود فولّى همذان اميرًا من اقاربه من جهة والدته يقال له طايسى[1] وجعل في البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه متولّيًا لامر دولته عماد المُلك الساوىّ وكان عظيم القدر عنده وكان يحرص على قصد العراق وعاد خوارزم شاه الى خراسان فوصل الى مرو في المحرّم سنة خمس عشرة وستّمائة وسار من وجّهه الى ما وراء النهر ولمّا قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وامر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انّه قد مات وكان ذلك في ذى القعدة سنة اربع عشرة وستّمائة ولمّا قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارى وسرخس وبقى خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها الّا عن قصد لتركها لانّ البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان احبّوا خطبوا وان ارادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العبّاسىّ لم يقصده احدٌ باذًى الّا لقيه فعله وخبث نيّته لا جرم لم يمهل هذا خوارزم شاه حتّى جرى له ما نذكره ممّا لم يسمع بمثله في الدنيا قديمًا ولا حديثًا ۞

ذكر ما جرى لاتابك سعد مع اولاده

لمّا قُتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من

---

[1]) 740: طايسى Ups.: طالشين

البلاد جمع اتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار عن بلاده الى اصفهان فلكها واطاعه اهلها فطمع فى تلك البلاد جميعها فسار من اصفهان الى الرىّ فلمّا وصل اليها لقى عساكر خوارزم شاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدّمة العسكر فقاتلها حتّى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزم شاه ورأى الجتر فسقط فى يديه والقى نفسه وضعفت قوّته وقوّة عسكره فولّوا الادبار وأُخذ اتابك سعد اسيرًا واحضر بين يدى خوارزم شاه فاكرمه وطيّب نفسه ووعده الاحسان واستصحب معه الى ان وصل الى اصفهان فسيّره منها الى بلاده وهى تجاورها وسيّر معه عسكرًا مع امير كبير ليتسلّم منه ما كان استقرّ بينهما فانّهما اتّفقا على ان يكون لخوارزم شاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزم شاه فى البلاد جميعها وكان اتابك سعد قد استخلف ابنًا له على البلاد فلمّا سمع الابن باسر ابيه خطب لنفسه بالمملكة وقطع خطبة ابيه فلمّا وصل ابوه ومعه عسكر خوارزم شاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى ابيه وجمع العساكر وخرج يقاتله فلمّا تراى الجمعان انحازت عساكر فارس الى صاحبهم اتابك سعد وتركوا ابنه فى خاصّته فحمل على ابيه فلمّا راه ابوه ظنّ انّه لم يعرفه فقال له انا فلان فقال اياك اردتُ فحينئذ امتنع منه وولّى الابن منهزمًا ووصل اتابك سعد الى البلاد فدخلها مالكًا لها وأُخذ ابنه اسيرًا فسجنه الى الآن الّا انّى سمعتُ الآن وهو سنة عشرين وستّمائة انّه قد خفّف حبسه ووسّع عليه ، ولمّا عاد خوارزم شاه الى خراسان غدر سعد بالامير الذى عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزم شاه واشتغل خوارزم شاه بالحادثة العظمى التى شغلته عن هذا وغيره لكنّ الله انتقم له بابنه غياث الدين كما ذكرناه سنة عشرين وستّمائة لأنّ سعدًا كفر احسان خوارزم شاه وكُفْر الاحسن عظيم العقوبة ۞

ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين

كان من اوّل هذه الحادثة الى اخرها اربع سنين غير شهر وانّما ذكرناها هاهنا لانّ ظهورهم كان فيها وسُقناها سياقة متتابعة ليتلو بعضها بعضًا فنقول فى هذه السنة وصلت امداد الفرنج فى البحر من رومية

الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج فى الغرب والشمال الّا ان المتولّى لها كان صاحب روميّة لانّه يتنزّل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة امره ولا العدول عن حكمه فيما سرّهم وساءهم فجهّز العساكر من عنده مع جماعة من مقدّمى الفرنج وامر غيره من ملوك الفرنج ان يسير بنفسه او يرسل جيشًا ففعلوا ما امرهم فاجتمعوا بعكّا من ساحل الشام ، وكان الملك العادل ابو بكر بن ايّوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لُدّ وبرز الفرنج من عكّا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازمًا على ان يسبقهم الى اطراف البلاد ممّا يلى عكّا ليحميها منهم فساروا ثم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردنّ فتقدّم الفرنج اليه فى شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انّه فى قلّة من العسكر لانّ العساكر كانت متفرّقة فى البلاد فلمّا راى العادل قربهم منه لم ير ان يلقاهم فى الطايفة التى معه خوفًا من هزيمة تكون عليه وكان حازمًا كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصُّفّر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لمّا راوا الملك العادل عندهم اطمانّوا فلم يفارقوا بلادهم ظنًّا منهم انّ الفرنج لا يقدمون عليه فلمّا اقدموا صار على غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الّا القليل فاخذ الفرنج كلّ ما فى بيسان من ذخاير قد جُمعت وكانت كثيرة وغنموا شيًا كثيرًا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثّوا السرايا فى القرى فوصلت الى خسفين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة ايّام ثمّ عادوا عنها الى مرج عكّا ومعهم من الغنايم والسبى والاسرى ما لا يحصى كثرةً سوى ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فاقاموا ايّامًا استراحوا ثمّ جاءوا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخَيْن فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكّا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذى سلم من تلك البلاد كان مخفًا حتّى قدر على النجاة ، ولقد بلغنى انّ العادل لمّا سار الى مرج الصُّفّر راى فى طريقه رجلًا يحمل شيًا وهو يمشى تارة وتارة يقعد ليستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك

فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تعجل فانّا اذا راينا قد سرتَ الى بلادك وتركتنا مع الاعدآء كيف لا نعجل وبالجملة الذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة ليلّا يخاطر باللقآء على حال تفرّق من العساكر ولمّا نزل العادل على مرج الصفر سيّر ولده الملك المعظّم عيسى وهو صاحب دمشق فى قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج عن البيت المقدّس ☆

ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها

لمّا نزل الفرنج بمرج عكّا تجهّزوا واخذوا معهم الة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهى قلعة منيعة على راس جبل بالقرب من عكّا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدّموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا فى جبلها حتّى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتّفق انّ بعض المسلمين ممّن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكّا وكان مدّة مقامهم على الطور سبعة عشر يومًا ولمّا فارقوا الطور اقاموا قريبًا ثمّ ساروا فى البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شآء الله تعالى فتوجّه الملك المعظّم الى قلعة الطور فخرّبها الى ان لحقها بالارض لانّها بالقرب من عكّا ويتعذّر حفظها ☆

ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها

لمّا عاد الفرنج من حصار الطور اقاموا بعكّا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستّمائة فساروا فى البحر الى دمياط فوصلوا فى صفر فارسوا على برّ الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فانّ بعض[1] النيل يصبّ فى البحر المالح عند دمياط [وقد بنى فى النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدّوها فى النيل الى سور دمياط][2] لتمنع[3] المراكب الواصلة فى البحر المالح ان تصعد فى النيل الى ديار مصر ولو لا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدوّ لا يقدر احدٌ على منعها عن اقاصى ديار مصر وادانيها، فلمّا نزل الفرنج على برّ الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورًا وجعلوا خندقًا يمنعهم ممّن

---

[3]) C. P.: ليمنع [2]) C. P. [1]) C. P. et 740. Ups.: بحر

يريدهم وشرعوا فى قتال من بدمياط وعملوا آلات ومرمّات وابراجًا يزحفون بها فى المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونًا بالرجال وقد نزل الملك الكامل بن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادليّة بالقرب من دمياط والعساكر متّصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدوّ من العبور الى ارضها وادام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسّرت مرمّاتهم والاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على اخذه ثمّ بعد ذلك ملكوا البرج فلمّا ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح فى النيل ويتحكّموا فى البرّ فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرًا عظيمًا امتنعوا به من سلوك النيل ثمّ انّهم قاتلوا عليه ايضًا قتالًا شديدًا كثيرًا متتابعًا حتّى قطعوه فلمّا قُطع اخذ الملك الكامل عدّة مراكب كبار وملاها وخرقها وغرّقها فى النيل فنعت المراكب من سلوكه فلمّا راى الفرنج ذلك قصدوا خليجًا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجرى عليه قديمًا فحفروا ذلك الخليج وعمّقوه فوق المراكب التى جعلت فى النيل واجروا الماء فيه الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على ارض الجيزة ايضًا مقابل المنزلة التى فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك فانّهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلمّا صاروا فى بورة حاذوه فقاتلوه فى الماء وزحفوا اليه غير مرّة فلم يظفروا بطايل ولم يتغيّر على اهل دمياط شئ لانّ الميرة والامداد متّصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم اذًى وابوابها مفتّحة وليس عليها من الحصر ضيّق ولا ضرر فاتّفق كما يريد الله عزّ وجلّ انّ الملك العادل توفّى فى جمادى الاخرة من سنة خمس عشرة وستّمايه على ما نذكره ان شاء الله فضعفت نفوس الناس لانّه السلطان حقيقة واولاده وان كانوا ملوكًا الّا انّهم بحكمه والامر اليه وهو ملّكهم البلاد فاتّفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدوّ وكان من جملة الامرآء بمصر امير يقال له عماد الدين احمد بن علىّ ويُعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكّاريّة وهو اكبر امير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامرآء ينقادون اليه ويطيعونه

لا سيّما الاكراد فاتّفق هذا الامير مع غيره من الامرآء واراد ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملّكوا اخاه الملك الفايز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد ، فبلغ الخبر الى الكامل ففارق المنزلة ليلًا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كلّ انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شيء من خيامهم وذخايرهم واموالهم واسلحتهم الّا اليسير الذى يخفّ حمله وتركوا الباقى بحاله من ميرة وسلاح ودوابّ وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل ، وامّا الفرنج فانّهم اصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين احدًا على شاطئ النيل كجارى عادتهم فبقوا لا يدرون ما الخبر واذا قد اتاهم مَن اخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينيئذ النيل الى برّ دمياط امنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس عشرة وستّمايئة فغنموا ما فى معسكر المسلمين فكان عظيمًا يُعجز العادّين ، وكان الملك الكامل يفارق الديار المصريّة لانّه لم يثق باحد من عسكره وكانوا الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقّة فاتّفق من لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل وصل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومَيْن والناس فى امر مريج فقوى به قلبه واشتدّ ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتّصل بالملك الاشرف وصار من جُنده ، فلمّا عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبايلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وافسدوا وبالغوا فى الافساد فكانوا اشدّ على المسلمين من الفرنج وكان اضرّ شيء على اهل دمياط انّها لم يكن بها من العسكر احدٌ لانّ السلطان ومَن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدوّ عنها فاتتهم هذه الحركة بغتةً فلم يدخلها احدٌ من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشوطب لا جرم لم يمهله الله واخذه اخذة رابية على ما نذكره ان شآء الله ، واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برًّا وبحرًا وعملوا عليهم خندقًا يمنعهم ممّن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم واداموا القتال واشتدّ الامر على اهلها وتعذّرت عليهم الاقوات وغيرها وسَمِموا القتال وملازمته لانّ الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم

لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا فصبروا صبرًا لم يُسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ستّ عشرة وستّمائة فعجز مَن بقى من اهلها عن الحفظ لقلّتهم وتعذّر القوت عندهم فسلّموا البلد الى الفرنج فى هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم واقام اخرون لعجزهم عن الحركة فتفرّقوا ايدى سبا ۞

ذكر مُلك المسلمين دمياط من الفرنج

لمّا ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبثّوا سراياهم فى كلّ ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلا اهلها عنها وشرعوا فى عمارتها وتحصينها وبالغوا فى ذلك حتّى انّها بقيت لا ترام ، وامّا الملك الكامل فانّه اقام بالقرب منهم فى اطراف بلاده يحميها ولمّا سمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كلّ فجّ عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظّم صاحب دمشق الى الشام فخرّب البيت المقدّس فى ذى القعدة من السنة وانّما فعل ذلك لانّ الناس كافّة خافوا الفرنج واشرف الاسلام وكافّة اهله وبلاده على خطّة خسف فى شرق الارض وغربها اقبل التتر من المشرق حتّى وصلوا الى نواحى العراق واذربيجان وارّان وغيرها على ما نذكره ان شآء الله تعالى واقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل دمياط فى الديار المصريّة مع عدم الحصون المانعة بها من الاعدآء واشرف ساير البلاد بمصر والشام على ان تُملك وخافهم الناس كافّة وصاروا يتوقّعون البلآء صباحًا ومسآءً واراد اهل مصر الجلآء عن بلادهم خوفًا من العدوّ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[1] والعدوّ قد احاط بهم من كلّ جانب ولو مكّنهم الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانّما مُنعوا منه فثبتوا ، وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظّم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى ابن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمنيّة وغيرها يستنجدهما ويحثّهما على الحضور بانفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب دمشق الى الاشرف بنفسه فرءاه مشغولاً عن انجاده بما دهه من اختلاف

---

[1]) Cor. 38, 2.

الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممّن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستّمائة ان شآء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فليطلب من هناك فعذره وعاد عنه وبقى الامر كذلك مع الفرنج ، فامّا الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستّمائة والملك الكامل مقابل الفرنج ، فلمّا دخلت سنة ثمان عشرة وستّمائة علم بزوال المانع للاشرف عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فسار صاحب دمشق بجنّه على المسير ففعل وسار الى دمشق فيمّن معه من العساكر وامر الباقين باللحاق به الى دمشق واقام بها ينتظرهم فاشار عليه بعض امرآيه وخواصّه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفًا من اختلاف يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجتُ للجهاد ولا بدّ من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الغارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمّى بحر اشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقّنوا هم وكلّ الناس انّهم يملكون الديار المصريّة ، وامّا الاشرف فانّه سار حتّى وصل مصر فلمّا سمع اخوه الكامل بقربه منهم توجّه اليه فلقيه واستبشر هو وكافّة المسلمين باجتماعهما لعلّ الله يحدث بذلك نصرًا وظفرًا ، وامّا الملك المعظّم صاحب دمشق فانّه سار ايضًا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنًّا منه انّ اخويْه وعسكريْهما قد نازلوها وقيل بل أُخبر فى الطريق انّ الفرنج قد توجّهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين ايديهم واخواه من خلفهم والله اعلم ولمّا اجتمع الاشرف بالكامل استقرّ الامر بينهما على التقدّم الى خليج من النيل يعرف بحر المحلّة فتقدّموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربًا وتقدّمت شوانى المسلمين من النيل وقاتلوا شوانى الفرنج فاخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفآءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوّهم هذا يجرى والرسل مترددة بينهم فى تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدّس وعسقلان وطبريّة وصيدا وجبلة واللاذقيّة وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليُسلّموا دمياط فلم يرضوا

وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضًا عن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتمّ بينهم امر وقالوا لا بدّ من الكرك فبينما الامر فى هذا وهم يمتنعون فاضطرّ المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدّة ايّام ظنًّا منهم انّ العساكر الاسلاميّة لا تقوم لهم وانّ القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم ياخذون منه ما ارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طايفة من المسلمين الى الارض التى عليها الفرنج ففجروا النيل فركب الماء اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكوا منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينيذ الجسور على النيل عند اشمون وعبرت العساكر عليها فلك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتّفق فى تلك الحال انّه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمّة وحوله عدّة حرّاقات تحميه والجميع مملوّ من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شوانى المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمّة وبما معها من الحرّاقات واخذوها فلمّا راى الفرنج ذلك سقط فى ايديهم وراوا انّهم قد ضلّوا الصواب بمفارقة دمياط فى ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلمّا اشتدّ الامر على الفرنج احرقوا خيامهم ومجانيقهم واثقالهم وارادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلّهم يقدرون على العود الى دمياط فراوا ما املوه بعيدًا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلمّا تيقّنوا انّهم قد احيط بهم من ساير جهاتهم وانّ ميرتهم قد تعذّر عليهم وصولها وانّ المنايا قد كشرت لهم عن انيابها ذلّت نفوسهم وتنكسرت صلبانهم وضلّ عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والاشرف يطلبون الامان ليسلّموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددّة اذ اقبل كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنّه المسلمون نجدة اتت للفرنج فاستشعروا واذ هو الملك المعظّم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدّت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانًا ووهنًا وتمّوا الصلح على تسليم دمياط واستقرّت

القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستّمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهاين على تسليم دمياط ملك عكّا ونايب بابا صاحب روميّة وكند ريش وغيرهم وعدّتهم عشرون ملكًا وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط فى تسليمها فلم يمتنع مَن بها وسلّموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يومًا مشهودًا ، ومن العجب انّ المسلمين لمّا تسلّموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله امرًا كان مفعولًا ولم يبق بها من اهلها الّا احادٌ وتفرّقوا ايدى سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم اخذه الفرنج ، ولمّا دخلها المسلمون راوها حصينة قد حصّنها الفرنج تحصينًا عظيمًا بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل اليها واعاد الله سبحانه وتعالى الحقّ الى نصابه وردّه الى اربابه واعطى المسلمين ظفرًا لم يكن فى حسابهم فانّهم كانت غاية امانيهم ان يسلّموا البلاد التى اخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بايديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام والمسلمين من كفّ عادية هذا العدوّ وكفاهم شرّ التتر على ما نذكره ان شآء الله تعالى ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم كانت ببغداد فتنة بين اهل المامونيّة وبين اهل باب الازج بسبب قتل سبُع وزاد الشرّ بينهم واقتتلوا فجُرح بينهم كثير فحصر نايب الباب وكفّهم عن ذلك فلم يقبلوا ذلك واسمعوه ما يكره فأُرسل من الديوان اميرٌ من مماليك الخليفة فردّ اهل كلّ محلّة الى محلّتهم وسكنت الفتنة ، وفيها كثر الفار ببلدة دُجيل من اعمال بغداد فكان الانسان لا يقدر يجلس الّا ومعه عصًا يردّ الفار عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرًا يتبع بعضه بعضًا ، وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها واشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافّة الامرآء والاعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامّة وغيرهم لعمل القورج[1]

---

[1]) العورح

حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك واعدّوا السفن لينجوا فيها وظهر للخليفة للناس وحثّهم على العمل وكان ممّا قال لهم لو كان يُفدى ما ارى بمال او غيره لفعلتُ ولو دُفع بحرب لفعلتُ ولكنّ امر الله لا يُردّ ونبع الماء من البلالبع والابار من الجانب الشرقيّ وغرق كثير منه وغرق مشهد ابى حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدى وقرية الملكيّة والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان واما جانب الغربيّ فتهدّم اكثر القريّة ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الظاهريّ وبعض باب البصرة والدور التى على نهر عيسى واكثر محلّة قطفتا ، وفيها توفّى احمد بن ابى الفضايل عبد المنعم بن ابى البركات محمّد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن ابى الخير[1] الميهنىّ[2] الصوفىّ ابو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحًا من بيت التصوّف والصلاح ۞

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستّمائة ، سنة ٦١٥

ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى ان استقرّت الامور

فى هذه السنة توفّى الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاوّل وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر وكان موته انّه اخذته حمّى ثمّ فارقته الغد وبقى يومين موعوكًا ثمّ عاودته الحمّى مع قئ كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثمّ برد بدنه وعرق وبقى كذلك الى وسط الليل ثمّ توفّى وكان كريمًا حليمًا قليل الطمع فى اموال الرعيّة كافًّا عن اذًى يوصله اليهم مبقلًا على لذّاته كاتمًا ينهبها ويبادر بها الموت وكان عنده رقّة شديدة ويكثر ذكر الموت حكى لى بعض مَن كان يلازمه قال كنّا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لى قد وجدتُ ضجرًا من القعود فقم بنا نتمشّى الى

---

[1]) 740 Ups.: الحر [2]) 740: المهمى Ups.: المهنى

Digitized by Google

الباب العمادىّ قال فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادىّ فوصل التربة التى عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكّرًا لا يتكلّم ثمّ قال لى والله ما نحن فى شئ اليس مصيرنا الى هاهنا وندفن تحت الارض واطال الحديث فى هذا ونحوه ثمّ عاد الى الدار فقلتُ له الّا نمشى الى الباب العمادىّ فقال ما بقى عندى نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفّى بعد ايّام واصيب اهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبًا اليهم قريبًا من قلوبهم ففى كلّ دار لاجله رنّة وعويل ، ولمّا حضرته الوفاة اوصى بالمُلك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصىّ عليه والمدبّر لدولته بدر الدين لؤلؤ وهو الذى كان يتولّى دولة القاهر ودولة ابيه نور الدين قبله وقد تقدّم من اخباره ما يُعرف به محلّه وسيرد منها ايضًا ما يزيد الناظر بصيرة فيه فلمّا قضى نحبه قام بدر الدين بامر نور الدين واجلسه فى مملكة ابيه وارسل الى الخليفة يطلب له التقليد والتشريف وارسل الى الملوك واصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين ابيه فلم يُصْبح الّا وقد فرغ من كلّ ما يحتاج اليه وجلس للعزآء وحلّف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغيّر مع صغر السلطان وكثرة الطامعين فى المُلك فانّه كان معه فى البلد اعمام ابيه وكان عمّه عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بولايته وهى قلعة عقر الحميديّة يحدّث نفسه بالمُلك لا يشكّ فى انّ الملك يصير اليه بعد اخيه فرقع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافّة الناس وغيّر ثياب الحداد عنهم فلم يخصّ بذلك شريفًا دون مشروف ولا كبيرًا دون صغير واحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد ايّام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر فى امر دولته والتشريفات لهما ايضًا واتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طُلب منهم من العهود واستقرّت القواعد لهما ۞

ذكر ملك عماد الدين زنكى قلاع الهكّاريّة والزوزان

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستّمائة انّه اعطى

ولده الاصغر زنكى قلعتىْ العقر وشوش[1] وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته متجنّبًا لكثرة تلوّنه وكان بقلعة العماديّة مستحفظ من مماليك جدّه عزّ الدين مسعود بن مودود قيل انّه جرى له مع زنكى مراسلات فى معنى تسليم العماديّة اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فبادره بالعزل مع امير كبير وجماعة من الجند لم يمكنه الامتناع وسلّم القلعة الى نايب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين فى غير العماديّة من القلاع نوّابًا له وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضًا من خروج كانت به وغيرها من الامراض وكان يبقى المدّة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فارسل زنكى الى من بالعماديّة من الجند يقول انّ ابن اخى توفّى ويريد بدر الدين يملك البلاد وانا احقّ بملك ابآى واجدادى فلم يزل حتّى يستدعاه الجند منها وسلّموا اليه ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وستّمائة وقبضوا على النايب البدرىّ وعلى من معه ، فوصل الخبر الى بدر الدين ليلًا فجدّوا فى الامر ونادى فى العسكر لوقته بالرحيل فساروا مجدّين الى العماديّة وبها زنكى ليحصروه فيها فلم يطلع الصبح الّا وقد فرغ من تسيير العساكر فساروا الى العماديّة وحصروها وكان الزمان شتآء والبرد شديدٌ والثلج هناك كثير فلم يتمكّنوا من قتال من بها لكنّهم اقاموا يحصرونها وقام مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين صاحب اربل فى نصر عماد الدين وتجرّد لمساعدته فراسله بدر الدين يذكّره الايمان والعهود التى من جملتها انّه لا يتعرّض الى شئ من اعمال الموصل ومنها قلاع الهكّاريّة والزوزان باسمآيها ومتى تعرّض اليها احد من الناس من كان منعه بنفسه وعساكره واعان نور الدين وبدر الدين على منعه ويطالبه بالوفآء بها ثمّ نزل عن هذا ورضى منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل واظهر معاضدة عماد الدين زنكى فحينيئذ لم تكن مكاثرة زنكى بالرجال والعساكر لقرب هذا الخصم من الموصل واعمالها الّا انّ العسكر البدرىّ محاصرٌ للعماديّة وبها زنكى ، ثمّ انّ بعض الامرآء من عسكر الموصل ممّن لا علم له بالحرب وكان شجاعًا وهو جديد الامارة

---

[1] سوس

اراد ان يُظهر شجاعته ليزداد بها تقدُّمًا اشار على مَن هناك من العسكر بالتقدّم الى العادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تاخّروا عنها شيئًا يسيرًا لشدّة البرد والثلج فلم يوافقوه وقبّحوه رايه فتركهم ورحل متقدّمًا اليهم ليلًا فاضطرّوا الى اتباعه خوفًا عليه من اذى يُصيبه ومَن معه فساروا اليه على غير تعبية لضيق المسلك ولانّه اعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم ايضًا فسمع زنكى ومن معه فنزلوا ولقوا اوايل الناس واهل مكّة اخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلتهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطرّوا الى العود فلمّا عادوا راسل زنكى باقى قلاع الهكّارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فاجابوه وسلّموا اليه فجعل الولاة وتسلّمها وحكم فيها ۞

ذكر اتّفاق بدر الدين مع الملك الاشرف

لمّا راى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتّفاق مظفّر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهم اللين ولا الشدّة وانّهما لا يزالان يسعيان فى اخذ بلاده ويتعرّضان الى اطرافها بالنهب والاذى ارسل الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلّها الّا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار فى طاعته منخرطًا فى سلك موافقته فاجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما اخذ من القلاع التى كانت له وكان الملك الاشرف حينيذ بحلب نازلًا بظاهرها لما ذكرناه من تعرّض كيكاوس ملك بلاد الروم التى بيد المسلمين قونية وغيرها الى اعمالها وملكوا بعض قلاعها فارسل الى مظفّر الدين يقبّح هذه الحالة ويقول له انّ هذه القاعدة تقرّرت بين جميعنا بحصور رسلك وانّنا نكون على الناكث الى ان يرجع الحقّ ولا بدّ من اعادة ما اخذ من بلد الموصل لنندوم على اليمين التى استقرّت بيننا فان امتنعتَ واصررتَ على معاضدة زنكى ونصرته فانا اجئ بنفسى وعساكرى واقصد بلادك وغيرها واستردّ ما اخذتموه واعيده الى اصحابه والمصلحة انّك توافق وتعود الى الحقّ لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصريّة واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرّهم ، فلم تحصل الاجابة منه الى شئ من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد

امتنع عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتفقا مع مظفر الدين فلمّا راى الاشرف ذلك جهّز عسكرًا وسيّره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم ☆

ذكر انهزام عماد الدين زنكى من العسكر البدرىّ

لمّا عاد العسكر البدرىّ من حصار العماديّة وبها زنكى كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التى له ليتسلّط على اعمال الموصل بالصحرآء فانّ بلد الجبل كان قد فرغ منه وامدّه مظفّر الدين بطايفة كثيرة من العسكر فلمّا اتّصل الخبر ببدر الدين سيّر طايفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فاقاموا على اربعة فراسخ من الموصل ثمّ انّهم اتّفقوا بينهم على المسير الى زنكى وهو عند العقر فى عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم ياخذوا امر بدر الدين بل اعلموه بمسيرهم جريدة ليس معهم الّا سلاحهم ودوابّ يقاتلون عليها فساروا ليلتهم وصبّحوا زنكى بكرة الاحد لاربع بقين من المحرّم من سنة ستّ عشرة وستّمايئة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فانزل الله نصره على العسكر البدرىّ فانهزم عماد الدين وعسكره وسار الى اربل منهزمًا وعاد العسكر البدرىّ الى منزلته التى كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف فى تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل ☆

ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك اخيه

ولمّا تقرّر الصلح توفّى نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضًا بعدّة امراض فرتّب بدر الدين فى الملك بعده اخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولدٌ غيره وحلف له الجند وركّبه فطابت نفوس الناس لانّ نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلمّا ركّبوا هذا علموا انّ لهم سلطانًا من البيت الاتابكىّ فاستقرّوا واطمانّوا وسكن كثير من الشغب بسببه ☆

ذكر انهزام بدر الدين من مظفّر الدين

لمّا توفّى نور الدين وملك اخوه ناصر الدين تجدّد لمظفّر الدين ولعماد الدين طمع لصغر سنّ ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهّزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان

بدر الدين قد سيّر ولده الاكبر فى جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف بحلب نجدةً له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد ان يدخل بلاد الفرنج التى بساحل الشام ينهبها ويخربها ليعود بعض من بدمياط الى بلادهم فيخفّ الامر على الملك الكامل صاحب مصر ، فلمّا راى بدر الدين تحرّك مظفّر الدين وعماد الدين وانّ بعض عسكره بالشام ارسل الى عسكر الملك الاشرف الذى بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدّم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة ستّ عشرة فلمّا رءاهم بدر الدين استقلّهم لانّهم كانوا اقلّ من العسكر الذى له بالشام او مثلهم فانّ ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فمنعه بدر الدين من ذلك وامره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل ايّامًا واصرّ على عبور دجلة فعبرها بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقىّ دجلة فلمّا سمع مظفّر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكى فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فعبّى اصحابه وجعل ايبك فى الجالشية ومعه شجعان اصحابه واكثر معه منهم بحيث انّه لم يبق معه الّا اليسير وجعل فى ميسرته اميرًا كبيرًا وطلب الانتقال عنها الى الميمنة فنقله فلمّا كان وقت العشآء الاخرة اعاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة والخصم بالقرب منهم فمنعه بدر الدين وقال متى انتقلتَ انت ومَن معك فى هذا الليل ربّما ظنّه الناس هزيمة فلا يقف احد فاقام بمكانه وهو فى جمع كبير من العسكر فلمّا انتصف الليل سار ايبك فامره بدر الدين بالمقام الى الصبح لقرب العدوّ منهم فلم يقبل لجهله بالحرب فاضطرّ الناس لاتباعه فتقطّعوا فى الليل والظلمة والتقوا هم والخصم فى العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فامّا عزّ الدين فانّه تيامن والتحف بالميمنة وحمل فى اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفّر الدين فهزمها وبها زنكى وكان الامير الذى انتقل الى الميمنة قد ابعد عنها فلم يقاتل فلمّا راى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدّم اليه مظفّر الدين فيمن معه فى القلب لم يتفرّقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلمّا رءاه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدوّ بازآيه بينهما

دجلة فنزل مظفّر الدين فيمن سلم معه من عسكره وزايين[1] حصن نينوى فاقام ثلاثة ايّام فلمّا راى اجتماع العسكر البدرىّ بالموصل وانّهم لم يُفقد منهم الّا اليسير وبلغه الخبر انّ بدر الدين يريد العبور اليه ليلًا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه فرحل ليلًا من غير ان يضرب كوسًا او بوقًا وعادوا نحو اربل فلمّا عبروا الزاب نزلوا ثمّ جآت الرسل وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على انّ كلّ من بيده شئ هو له وتقرّرت العهود والايمان على ذلك ۞

ذكر مُلك عماد الدين قلعة كواشى ومُلك بدر الدين تلّ يعفر ومُلك الملك الاشرف سنجار

هذه كواشى من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لمّا راوا ما فعل اهل العاديّة وغيرهم من التسليم الى زنكى وانّهم قد تحكّموا فى القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبّوا ان يكونوا كذلك فاخرجوا نوّاب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهاينهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فتردّدت الرسل فى عودهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكى فى المجئ اليهم وتسلّم القلعة واقام عندهم فروسل مظفّر الدين يذكّر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تقع الاجابة الى ذلك فارسل حينيئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفراة الى حرّان واختلفت عليه الامور من عدّة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف انّ مظفّر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسّن لهم الخروج على الاشرف ويخوّفهم منه اذا خلى وجهه فاجابه الى ذلك عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم [وصاحب آمد] وحصن كيفا وصاحب ماردين واتّفقوا كلّهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له فى بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لمّا قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتّفق انّ كيكاوس مات فى ذلك الوقت وكُفى الاشرف وبدر الدين شرّه ولا جدّ

---

[1] وزايل (؟)

Digitized by Google

الّا ما اقعص عنك الرجال وكان مظفّر الدين قد راسل جماعة من الامرآء الذين مع الاشرف واستمالهم فاجابوه منهم احمد ابن علىّ بن المشطوب الذى ذكرنا انّه فعل على دمياط ما فعل وهو اكبر امير معه ووافقه غيره منهم عزّ الدين محمّد بن بدر الحميدىّ وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلمّا اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقرّ الصلح بينهما وسلّم اليه الاشرف مدينة حانى وجبل جور وضمن له أخذ دارا وتسليمها اليه فلمّا فارقهم صاحب آمد انحلّ امرهم فاضطرّ بعض اوليك الامرآء الى العود الى طاعة الاشرف وبقى ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرّق مَن معه من الجمع ومضى منهزمًا فاجتاز بطرف بلد سنجار فسيّر اليه صاحبها فروخ شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى عسكرًا فهزموه واخذوه اسيرًا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقًا للاشرف وبدر الدين فلمّا صار عنده ابن المشطوب حسّن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك واطلقه فاجتمع معه مَن يريد الفساد فقصدوا البقعا من اعمال الموصل ونهبوا فيها عدّة قرى وعادوا الى سنجار ثمّ ساروا وهو معهم الى تلّ يعفر وهى لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا فى تلك الناحية فلمّا سمع بدر الدين بذلك سيّر اليه عسكرًا فقاتلوهم فمضى منهزمًا وصعد الى تلّ يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثآء لتسع بقين من ربيع الاوّل سنة سبع عشرة وستّمايئة وجدّ فى حصره وزحف اليها مرّة بعد اخرى فملكها سابع عشر ربيع الاخر من هذه السنة واخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ثمّ اخذه منه الاشرف فسجن بحرّان الى ان توفّى فى ربيع الاخر سنة تسع عشرة وستّمايئة ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط ؛ واما الملك الاشرف فانّه لمّا اطاعه صاحب الحصن وآمد تغرّق الامرآء كما ذكرناه رحل من حرّان الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلد ماردين وشحّن عليه واقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحصر معه صاحب

آمد وتردّدت الرسل بينه وبين صاحب ماردين فى الصلح فاصطلحوا على ان ياخذ الاشرف راس العين وكان هو قد اقطعها لصاحب ماردين ويأخذ منه ايضًا ثلاثين الف دينار ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد [شبختان][1] فلمّا تمّ الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو فى الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقّة وكان السبب فى ذلك اخذ تلّ يعفر منه فانخلع قلبه وانضاف الى ذلك انّ ثقاته ونصحاءه خانوه وزادوه رُعْبًا وخوفًا لانّهم تهدّدوه فتغدّوا به قبل ان يتعشّى بهم ولانّه قطع رحمه وقتل اخاه الذى ملك سنجار بعد ابيه قتله كما نذكره ان شآء الله وملكها فلقّاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلمّا تيقّن رحيل الاشرف تحيّر فى امره فارسل فى التسليم اليه فاجابه الاشرف الى العوض وسلّم اليه الرقّة وتسلّم سنجار مستهلّ جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستّمايّة وفارقها صاحبها واخوته باهليهم واموالهم وكان هذا اخر ملوك البيت الاتابكىّ بسنجار فسبحان الحىّ الدايم الذى ليس لملكه اخر وكان مدّة مُلكهم لها اربعا وتسعين سنة وهذا دأب الدنيا بابنايها فتسعًا لها من دار ما اغدرها باهلها ☆

ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفّر الدين

لمّا ملك الملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليجتاز منها فقدّم بين يديه عساكره فكان يصل كلّ يوم منهم جمع كثير ثمّ وصل هو فى اخرهم يوم الثلاثآء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهودًا واتاه رسل الخليفة ومظفّر الدين فى الصلح وبذل تسليم القلاع الماخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العماديّة فانّها تبقى بيد زنكى وانّ المصلحة قبول هذا لتزول الفتن ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث فى ذلك نحو شهرَيْن ثمّ رحل الاشرف يريد مظفّر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلاميّة بالقرب من نهر الزاب وكان مظفّر الدين نازلًا عليه من جانب اربل فاعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه

[1]) C. P. 740: سنحثان

الى مظفّر الدين فاشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجُعل لتسليمها اجلٌ وحُمل زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلّمت قلعة العقر وقلعة شوش ايضًا وهما لزنكى الى نُوّاب الاشرف رهنًا على تسليم ما استقرّ من القلاع فاذا سُلّمت اطلق زنكى واعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلّم الاشرف الى زنكى القلعتَيْن وعد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستّمايّة فارسلوا الى القلاع لتسلّم الى نُوّاب بدر الدين فلم يسلّم اليه غير قلعة جلّ صورا من اعمال الهكّاريّة واما باقى القلاع فانّ جندها اظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلّم [الّا] جلّ صورا ، ولزم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى بن الملك العادل وخدمه وتقرّب اليه فاستعطف الله اخاه الملك الاشرف فمال اليه واطلقه وازال نُوّابه من قلعة العقر وشوش وسلّمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تلّ يعفر وانّها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه وطال الحديث فى ذلك فسلّمها اليه بدر الدين ۞

ذكر عود قلاع الهكّاريّة والزوزان الى بدر الدين

لمّا ملك زنكى قلاع الهكّاريّة والزوزان لم يفعل مع اهلها ما ظنّوه من الاحسان والانعام بل فعل ضدّه وضيّق عليهم وكان يبلغهم افعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبذله الاموال لهم وكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلمّا كان الآن علموا بما فعل معهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرّم سنة ثمان عشرة وستّمايّة فى التسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيئًا من اقطاع يكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستاذنه فى ذلك فلم ياذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع جموعًا وحصر قلعة العماديّة فلم يبلغ منهم غرضًا واعادوا مراسلة بدر الدين فى التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف فى المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرَيْن ليأذن له فى اخذها فاذن له فارسل اليها كلّها النوّاب وتسلّموها واحسن الى اهلها ورحل زنكى عنها ووفى له بدر الدين بما بذله له فلمّا سمع جند باقى القلاع بما فعلوا وما وصلهم من

الاحسان والزيادة رغبوا كلّهم فى التسليم فسيّر اليهم الثّواب واتّفقت كلمة اهلها على طاعته والانقياد اليه والعجب انّ العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها فى استعادة هذه القلاع فلم يقدروا على ذلك فلمّا تفرّقوا حصر اهلها وسالوا ان تؤخذ منهم فعادت صفوًا عفوًا بغير منّة ولقد احسن من قال

لا سهل الّا ما جعلت سهلًا وان تشآء تجعل بحزن وَحْلَا

فتبارك الله الفعال لما يريد لا مانع لما اعطى ولا مُعطى لما منع وهو على كلّ شئ قدير ۞

ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس

فى هذه السنة سار عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدًا للتغلّب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انّه كان بحلب رجلان فيهما شرّ كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر ابن صلاح الدين عن رعيّته فاوغروا صدره فلقى الناس منهما شدّة فلمّا توفّى الظاهر وولى الامر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما ممّن يفعل فعلهما وسدّ هذا الباب على فاعله ولم يطرّق اليه احدًا من اهله فلمّا راى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس واذوْهما وتهدّدوهما لما كانا اسلفاه من الشرّ فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطمعاه فيها وقرّرا فى نفسه انّه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانّه يملكها ويهون عليه مُلك ما بعدها فلمّا عزم على ذلك اشار عليه ذوو الراى من اصحابه وقالوا له لا يتمّ لك هذا الّا بان يكون معك احدٌ من بيت ايّوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل ابن صلاح الدين هو فى طاعتك والمصلحة انّك تستصحبه معك وتقرّر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك ما تريد فاحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيأً كثيرًا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرّت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للافضل وهو فى طاعة كيكاوس والخطبة له فى ذلك اجمع ثمّ يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه ممّا بيد الملك الاشرف مثل حرّان والرُّها من البلاد الجزريّة تكون لكيكاوس

وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان [1] فتسلّمها الافضل فمال الناس حينيذ اليهما ثمّ سارا الى قلعة تلّ باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين [دلدرم] [2] البارونيّ فحصروه وضيّقوا عليه وملكوها منه فاخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلّمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اوّل الغدر وخاف انّه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الّا ان يكون قد قلع ببيته لغيره فغيّرت نيّته واعرض عمّا كان يفعله وكذلك ايضًا اهل البلاد فكانوا يظنّون انّ الافضل يملكها فيسهل عليهم الامر فلمّا راوا ضدّ ذلك وقفوا ، وامّا شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانّه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتّة وهذه كانت عادته مذ مات الظاهر خوفًا من ثائر يثور به فلمّا حدث هذا الامر خاف ان يحصروه وربّما سلّم اهل البلد والجند المدينة الى الافضل ليملكهم اليه فارسل الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزريّة وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم له ويخطبون له ويجعل السكّة باسمه وياخذ من اعمال حلب ما اختار ولانّ ولد الظاهر هو ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم فى عساكره التى عنده وارسل الى الباقين يطلبهم اليه وسرّه ذلك للمصلحة العامّة لجميعهم واحضر اليه العرب من طى وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولمّا اخذ كيكاوس تلّ باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل ان يحتاطوا ويتاهّبوا فعاد عن ذلك وصار يقول الراى انّنا نقصد منبج وغيرها ليقلّ يبقى لهم ورآء ظهورنا شئ قصدًا للتمادى ومرور الزمان فى لا شئ فتوجّهوا من تلّ باشر الى جهة منبج وتقدّم الاشرف نحوهم وسارت العرب فى مقدّمته وكان طايفة من عسكر كيكاوس نحو الف فارس قد سبقت مقدّمته له فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفيّ فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلمّا وصل اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولّى على اعقابه يطوى المراحل الى بلاده خايفًا يترقّب فلمّا وصل الى

---

[1]) رعنان

[2]) Ex *Abulfeda* IV, p. 267 addidi.

Digitized by Google

اطرافها اقام وانّما فعل هذا لانّه صبيّ وغرّ لا معرفة له بالحرب والّا فالعساكر ما برحت تقع مقدّماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فلك رعبان وحصر تلّ باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتّى غُلبوا فأُخذت القلعة منهم واطلقهم الاشرف فلمّا وصلوا الى كيكاوس جعلهم فى دار واحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافّة واستقبحوه واستضعفوه لا جرم لم يهمله الله تعالى وعجّل عقوبته للوم قدرته وشدّة عقوبته ولعدم الرحمة فى قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلّم الاشرف تلّ باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان عازمًا على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لانّ الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان العظيم اذا توفّى ربّما جرى خلل فى البلاد لا تُعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكُفى كلّ منهما اذى صاحبه ☆

ذكر وفاة الملك العادل ومُلك اولاده بعده

[1] توفّى الملك العادل ابو بكر بن ايّوب سابع جمادى الاخرة من سنة خمس عشرة وستّمائة وقد ذكرنا ابتدآء دولتهم عند مُلك عمّه اسد الدين شيركوه ديار مصر سنة اربع وستّين وخمسمائة ولمّا ملك اخوه صلاح الدين يوسف ابن ايّوب ديار مصر بعد عمّه وسار الى الشام يستخلفه بمصر ثقة به واعتمادًا عليه وعلمًا بما هو عليه من توفّر العقل وحسن السيرة ، فلمّا توفّى اخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقى مالكًا للبلاد الى الآن فلمّا ظهر الفرنج كما ذكرناه سنة اربع عشرة وستّمائة قصد هو مرج الصفّر فلمّا سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فاقام به ومرض وتوفّى وحُمل الى دمشق فدُفن بالتربة التى له ، وكان عاقلًا ذا راى سديد ومكر شديد وخديعة صبورًا حليمًا ذا اناة يسمع ما يكره ويغضّ عليه حتّى كانّه لم يسمعه كثير الحرج وقت الحاجة لا يقف فى شئ واذا لم تكن حاجة فلا ، وكان عمره خمسًا وسبعين سنة وشهورًا لانّ مولده كان فى المحرّم من سنة اربعين وخمسمائة

---

[1]) Ups. add. لما

وملك دمشق فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [من الافضل ابن اخيه وملك مصر فى ربيع الاخر من سنة ستّ وتسعين] [1] منه ايضًا ومن اعجب ما رايتُ من مناقاة الطوالع انّه لم يملك الافضل مملكة قطّ الّا واخذها منه عمّه العادل فاوّل ذلك انّ صلاح الدين اعطى ابنه الافضل حرّان والرُّها وميّافارقين سنة ستّ وثمانين بعد وفاة تقى الدين فسار اليها فلمّا وصل الى حلب ارسل ابوه الملكَ العادل بعده فردّه من حلب واخذ هذه البلاد منه ثمّ ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فاخذها منه ثمّ ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز فاخذها ايضًا منه ثمّ ملك صرخد فاخذها منه واعجب من هذا انّنى رايتُ بالبيت المقدّس سارية من الرخام مُلقاةً فى بيعة صهيون ليس مثلها فقال القسّ الذى بالبيعة هذه كان قد اخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثمّ انّ العادل اخذها بعد ذلك من الافضل طلبها منه فاخذها وهذا غاية وهو من اعجب ما يُحكى وكان العادل قد قسم البلاد فى حياته بين اولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمّدًا وبدمشق والقدس وطبريّة والاردنّ والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظّم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميّافارقين وخلاط واعمالها لابنه الملك الاشرف موسى واعطى الرُّها لولده شهاب الدين غازى واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه ، فلمّا توفّى ثبت كلّ منهم فى المملكة التى اعطاه ابوه واتّفقوا اتّفاقًا حسنًا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة ان يجرى بين اولاد الملوك بعد ابآيهم بل كانوا كالنفس الواحدة كلٌّ منهم يثق الى الاخر بحيث يحضر عنده منفردًا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد مُلكهم وراوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره ابوهم ولعمرى انّهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذبّ عن الاسلام وفى نوبة دمياط كفاية وامّا الملك الاشرف فليس للمال عنده محلّ بل يُطره مطرًا كثيرًا لعفّة عن اموال الرعيّة دايم الاحسان لا يسمع سعاية ساعٍ ☆

---

[1]) C. P.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة في ذي القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن ارض دمياط لانّه بلغه انّ جماعة من الامرآء قد اجتمعوا على تمليك اخيه الغايز عوضه فخافهم ففارق منزلته فانتقل الفرنج اليها وحصروا حينيذ دمياط برًّا وبحرًا وتمكّنوا من ذلك وقد تقدّم مستقصًى سنة اربع عشرة وستّمايئة ، وفيها في المحرّم توفّي شرف الدين محمّد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعيّ وكان مدرّسًا في عدّة مدارس بالموصل وكان صالحًا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله ، وفيها توفّي عزّ الدين نجاح الشرابي خاصّ الخليفة واقرب الناس اليه وكان الحاكم في دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبيّة للناس وامّا عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يُضرب المثل ، وفيها توفّي علىّ بن نصر ابن هرون ابو الحسن الحلّيّ النحوى الملقّب بالحجّة قرأ على ابن الخشاب وغيره ۞

ثم دخلت سنة ستّ عشرة وستّمايئة ، سنة ٦١٦

ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباذ اخيه

في هذه السنة توفّي الملك الغالب عزّ الدين كيكاوس ابن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونيّة واقصرا وملطيّة وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشد وسار الى ملطيّة على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرّت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفّر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكّة في بلادهم واتّفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطيّة ليمنع الملك الاشرف به عن المسير الى الموصل نجدة لصاحبها بدر الدين لعلّ مظفّر الدين يبلغ من الموصل غرضًا وكان قد علق به السلّ فلمّا اشتدّ مرضه عاد عنها فتوفّي وملك بعده اخوه كيقباذ وكان محبوسًا قد حبسه اخوه كيكاوس لمّا اخذ البلاد واشار عليه بعض اصحابه بقتله فلم يفعل فلمّا توفّي لم يخلّف ولدًا يصلح للملك لصغرهم فاخرج الجند كيقباذ وملّكوه ومن بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللَّهُ[1] وقيل بل ارسل كيكاوس لمّا اشتدّ

---

[1]) Cor. 22, 59.

مرضه فاحضره عنده من السجن ووصى له بالملك وحلّف الناس له ، فلمّا ملك خالفه عمّه صاحب ارزن الروم وخاف ايضًا من الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والتعاضد وتصاهرا وكُفى الاشرف شرّ تلك الجهة وتفرّغ بالله لاصلاح ما بين يديه ولقد صدق القايل وجدّك طعان بغير سنان ، وهذا ثمرة حسن النيّة فانّه حسن النيّة لرعيّته واصحابه كافّ عن اذى يتطرّق اليهم منه غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده باذى ومُلك مع ضعف اصحابها وقوّته لاجرم تانيه البلاد صفوًا عفوًا ☆

ذكر موت صاحب سنجار ومُلك ابنه ثمّ قتل ابنه ومُلك اخيه

وفى هذه السنة ثامن صفر توفّى قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وكان كريمًا حسن السيرة فى رعيّته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم واما اصحابه فكانوا معه فى ارغد عيش يعمّهم باحسانه ولا يخافون اذاه وكان عاجزًا عن حفظ بلده مسلّمًا الامور الى نوّابه ولمّا توفّى ملك بعده ابنه عماد الدين شاهانشاه وركب الناس معه وبقى مالكًا لسنجار عدّة شهور وسار الى تلّ اعفر وهى له فدخل عليه اخوه عمر بن محمّد بن زنكى ومعه جماعة فقتلوه وملك اخوه عمر بعده فبقى كذلك الى ان سلّم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شآء الله تعالى ولم يمتع بملكه الذى قطع رحمه واراق الدم الحرام لاجله ولمّا سلّم سنجار اخذ عوضها الرقّة ثمّ أُخذت منه عن قريب وتوفّى بعد اخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه وهذه عاقبة قطيعة الرحم فانّ صلتها تزيد فى العمر وقطيعتها تهدم العمر ☆

ذكر اجلآء بنى معروف عن البطايح وقتلهم

فى هذه السنة فى ذى القعدة امر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معد متولّى بلاد واسط ان يسير الى قتال بنى معروف فتجهّز وجمع معه من الرجّالة من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلّة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقًا كثيرًا وسار اليهم ومقدّمهم حينيذ معلّى بن معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربىّ الفراة تحت سورآء وما يتّصل بذلك من البطايح وكثر فسادهم واذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا

الطريق وافسدوا فى النواحى المقاربة لبطيحة الغراف فشكا اهل تلك البلاد الى الديوان منهم فامر معدًا ان يسير اليهم فى الجموع فسار اليهم فاستعدّ بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقبر وهو تلّ كبير بالبطيحة بقرب الغراف وكثُر القتل بينهم ثمّ انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأُخذت اموالهم وحُملت رؤس كثيرة من القتلى الى بغداد فى ذى الحجّة من السنة ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم انهزم عماد الدين زنكى من عسكر بدر الدين ، وفيها فى العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفّر الدين صاحب اربل وعاد مظفّر الدين الى بلده وقد تقدّم ذلك مستوفًى فى سنة خمس عشرة وستّمائة ، وفيها فى السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكر سنة اربع عشرة مشروحًا ، وفيها توفّى افتخار الدين عبد المطّلب بن الفضل الهاشمىّ العبّاسىّ الفقيه الحنفىّ رئيس الحنفيّة بحلب روى الحديث عن عمر البسطامىّ نزيل بلخ وعن ابى سعد السمعانىّ وغيرهما ، وفيها توفّى ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبرىّ الضرير النحوى وغيره ، وفيها توفّى ابو الحسن علىّ بن ابى محمّد القاسم بن علىّ بن الحسن بن عبد الله الدمشقىّ الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فاكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حراميّة فجُرح وبقى ببغداد وتوفّى فى جمادى الاولى رحمه الله ۞

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستّمائة ، سنة ٦١٧

ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام

لقد بقيتُ عدّة سنين مُعرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها فانا اقدّم اليه [رجلًا] واوخّر اخرى فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعىّ الاسلام والمسلمين ومَن الذى يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت امّى لم تلدنى ويا ليتنى مُتّ قبل هذا وكنتُ نسيًا منسيا الّا انّ حثّنى جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقّف ثمّ رايتُ انّ ترك

Digitized by Google

ذلك لا يجدى نفعًا فنقول هذا الفعل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الايّام واللبالى عن مثلها عمّت الخلايق وخصّت المسلمين فلو قال قايل انّ العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدمَ والى الأن لم يُبْتَلَوْا بمثلها لكان صادقًا فانّ التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها ولا ما يُدانيها ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببنى اسرايل من القتل وتخريب البيت المقدّس وما البيت المقدّس بالنسبة الى ما خرّب هولآء الملاعين من البلاد التى كلّ مدينة منها اضعاف البيت المقدّس وما بنو اسرايل بالنسبة الى مَن قتلوا فانّ اهل مدينة واحدة ممّن قتلوا اكثر من بنى اسرايل ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان يتعرّض العالم وتفنى الدنيا الّا ياجوج وماجوج وامّا الدجّال فانّه يُبقى على مَن اتبعه ويهلك من خالفه وهولآء لم يبقوا على احد بل قتلوا النسآء والرجال والاطفال وشقّوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنّة فانّا لله وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلى العظيم ☆

لهذه الحادثة التى استطار شررها وعمّ ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرتْه الريح فانّ قومًا خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثمّ منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرها فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثمّ تعبر طايفة منهم الى خراسان فيفرغون منها مُلكًا وتخريبًا وقتلًا ونهبًا ثمّ يتجاوزونها الى الرىّ وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حدّ العراق ثمّ يقصدون بلاد اذربيجان وارّانيّة ويخرّبونه ويقتلون اكثر اهله ولم ينج الّا الشريد النادر فى اقلّ من سنة هذا ما لم يُسمع بمثله ثمّ لمّا فرغوا من اذربيجان وارّانيّة ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التى بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز ومَن فى ذلك الصُّقع من الامم المختلفة فاوسعهم قتلًا ونهبًا وتخريبًا ثمّ قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددًا فقتلوا كلّ من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هولآء التتر عليها فعلوا هذا فى اسرع زمان لم يلبثوا الّا بمقدار مسيرهم لا غير ، ومضى طايفة اخرى غير هذه الطايفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان

ففعلوا فيه مثل فعل هولآء واشدّ هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فانّ الاسكندر الذى اتّفق المورّخون على انّه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة انّما ملكها فى نحو عشر سنين ولم يقتل احدًا انّما رضى من الناس بالطاعة وهولآء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارةً واهلًا واعدل اهل الارض اخلاقًا وسيرة فى نحو سنة ولم يبت احد من البلاد التى لم يطرقوها الّا وهو خايف يتوقّعهم ويترقّب وصولهم اليه ثمّ انّهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد ياتيهم فانّهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدوابّ ياكلون لحومها لا غير واما دوابّهم التى يركبونها فانّها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلًا لا يحتاجون الى شئ من خارج واما ديانتهم فانّهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرّمون شيأً فانّهم ياكلون جميع الدوابّ حتّى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحًا بل المراة ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جآء الولد لا يعرف اباه ، ولقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدّة بمصايب لم يُبتلى بها احد من الامم منها هولآء التتر قبّحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التى يستعظمها كلّ من سمع بها وستراها مشروحة متّصلة ان شآء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها واشرفت ديار مصر والشام وغيرها على ان يملكوها لو لا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة اربع عشرة وستّمايئة ومنها انّ الذى سلم من هاتَيْن الطايفتَيْن فالسيف بينهم مسلولٌ والفتنة قايمة على ساق وقد ذكرناه ايضًا فانّا لله وانّا اليه راجعون نسال الله ان ييسّر للاسلام والمسلمين نصرًا من عنده فانّ الناصر والمعين والذابّ عن الاسلام معدوم واذا اراد الله بقوم سوًا فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ فانّ هولآء التتر انّما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه انّ خوارزم شاه محمّدًا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم وبقى هو وحده سلطان البلاد جميعها فلمّا انهزم منهم لم يبق فى البلاد من يمنعهم ولا مَن يحميها ليقضى الله امرًا كان مفعولًا وهذا حين نذكر ابتدآء خروجهم الى البلاد ☆

Digitized by Google

ذكر خروج التتر الى تركستان وما ورآء النهر وما فعلوه

في هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستّة اشهر وكان السبب في ظهورهم انّ ملكهم ويسمّى جنكزخان المعروف بتموجين[1] كان قد فارق بلاده وسار الى نواحي تركستان وسيّر جماعة من التجار والاتراك ومعهم شيء كثير من النقرة والقندر وغيرها الى بلاد ما ورآء النهر سمرقند وبخارى ليشتروا له ثيابًا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمّى اوترار[2] وهي اخر ولاية خوارزم شاه وكان له نايب هناك فلمّا ورد عليه هذه الطايفة من التتر ارسل الى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزم شاه يامره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه ففعل ذلك وسيّر ما معهم وكان شيئًا كثيرًا فلمّا وصل الى خوارزم شاه فرّقه على تجار بخارى وسمرقند واخذ ثمنه منهم وكان بعد لن ملك ما ورآء النهر من الخطا قد سدّ الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وانّ طايفة من التتر ايضًا كانوا قد خرجوا قديمًا والبلاد للخطا فلمّا ملك خوارزم شاه البلاد بما ورآء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هولآء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه فلذلك منع المبرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل في سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك ممّا لا يذكر في بطون الدفاتر فكان ما كان ممّا لستُ اذكره فظنّ خيرًا ولا تسال عن الخبر

فلمّا قتل نايب خوارزم شاه اصحاب جنكزخان ارسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من البنك وما يريد ان يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي هي طريقهم حتّى وصلوا اليه فعادوا بعد مدّة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانّهم يخرجون عن الاحصآء وانّهم من اصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانّهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم فندم خوارزم شاه على قتل اصحابهم واخذ

---

1) بتموجين 2) اوترار

اموالهم وحصل عنده فكرٌ زايد فاحضر الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل كبير المحلّ عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث امر عظيم لا بدّ من الفكر فيه فاخُذ رايك في الذي نفعله وذاك انّه قد تحرّك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تُحصى فقال له في عساكرك كثرة وكاتب الاطراف وتجمع العساكر ويكون النفير عامًّا فانّه يجب على المسلمين كافّة مساعدتك بالمال والنفس ثمّ تذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الاسلام فنكون هناك فاذا جآء العدوّ وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسّهم النصبُ والتعب، فجمع خوارزم شاه امرآه ومَن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رايه بل قالوا ان نتركهم يعبرون سيحون الينا ويسلكون هذه الجبال والمضايق فانّهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينيئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجوا منهم احد، فبينما الاتراك كذلك اذ ورد رسول من هذا اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدّد خوارزم شاه ويقول تقتلون احفادي وتاخذون اموالهم استعدّوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قِبَل لكم به، وكان جنكزخان قد سار الى تركستان فملك كاشغار وبلاساغون وجميع البلاد وازال عنها التتر الاولى فلم يظهر لهم خبر ولا بقي لهم اثر بل بادوا كما اصاب الخطا وارسل الرسالة المذكورة الى خوارزم شاه فلمّا سمعها خوارزم شاه امر بقتل رسوله فقُتل وامر بحلق لحا الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له انّ خوارزم شاه يقول لك انا ساير اليك ولو انّك في اخر الدنيا حتّى انتقم وافعل بك كما فعلتُ باصحابك، وتجهّز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرًا ليسبق خبره ويكبسهم فاذمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الّا النسآء والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النسآء والذرّيّة وكان سبب غيبة الكفّار عن بيوتهم انّهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان [1]

---

[1]) كلشلخان

فقاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلقيهم فى الطريق الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلّفيهم فجدّوا السير فادركوه قبل ان يخرج عن بيوتهم وتصافّوا للحرب واقتتلوا قتالاً لم يُسمع بمثله فبقوا فى الحرب ثلاثة ايّام بلياليها فقُتل من الطايفتين ما لا يُعدّ ولم ينهزم احد منهم امّا المسلمون فانّهم صبروا حميّةً للدين وعلموا انّهم ان انهزموا لم يبقِ للمسلمين باقية وانّهم يوخذون لبُعدهم عن بلادهم وامّا الكفّار فصبروا لاستنقاذ اهليهم واموالهم واشتدّ بهم الامر حتّى انّ احدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلًا ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتّى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفد الطايفتان وُسعهم فى الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فأُحصى مَن قُتل من المسلمين فى هذه الوقعة فكانوا عشرين الفًا وامّا من الكفّار فلا يُحصى مَن قُتل منهم فلمّا كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلمّا اظلم الليل اوقد الكفّار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل المسلمون ايضًا كلّ منهم سمع القتال فامّا الكفّار فعادوا الى ملكهم جنكزخان وامّا المسلمون فرجعوا الى بخارى فاستعدّ للحصار لعلمه بعجزه لانّ طايفة عسكره لم يقدر خوارزم شاه على ان يظفر بهم فكيف اذا جآوا جميعهم مع ملكهم فامر اهل بخارى وسمرقند بالستعداد للحصار وجمع الذخاير للامتناع وجعل فى بخارى عشرين الف فارس من العسكر يحمونها وفى سمرقند خمسين الفًا وقال لهم احفظوا البلد حتّى اعود الى خوارزم وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين واعود اليكم ، فلمّا فرغ من ذلك رحل عايدًا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك ، وامّا الكفّار فانّهم رحلوا بعد ان استعدّوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا الى بخارى بعد خمسة اشهر من وصول خوارزم شاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة ايّام قتالاً شديدًا متتابعًا فلم يكن للعسكر الخوارزمىّ بهم قوّة ففارقوا البلد عايدين الى خراسان فلمّا اصبح اهل البلد وليس عندهم من العسكر احد ضعُفت نفوسهم فارسلوا القاضى وهو بدر الدين قاضى خان ليطلب الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقى من العسكر طايفة لم يمكنهم الهرب مع اصحابهم فاعتصموا

بالقلعة فلمّا اجابهم جنكزخان الى الامان فُتحت ابواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذى الحجّة من سنة ستّ عشرة وستّمائة فدخل الكفّار بخارى ولم يتعرّضوا الى احد بل قالوا لهم كلّ ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه الينا وساعدونا على قتال مَن بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى فى البلد بان لا يتخلّف احد ومَن تخلّف قُتل فحضروا جميعهم فامرهم بطمّ الخندق فطمّوه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتّى انّ الكفّار كانوا ياخذون المغابر وربعات القران فيلقونها فى الخندق فانّا لله وانّا اليه راجعون وبحقّ سمّى اللّه نفسه صبورًا حليمًا والّا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل هذا ثمّ تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربع مائة فارس من المسلمين فبذلوا جُهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يومًا يقاتلون جمع الكفّار واهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتّى زحفوا اليهم ووصل النقّابون الى سور القلعة فنقبوه واشتدّ حينيئذ القتال ومَن بها من المسلمين يرمون بكلّ ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين وردّ اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدّوا فى القتال وقد تعب مَن بالقلعة ونصبوا وجاهم ما لا قِبَل لهم به فقهرهم الكفّار ودخلوا القلعة وقتلهم المسلمون الذين فيها حتّى قتلوا عن اخرهم فلمّا فرغ من القلعة امر ان يُكتب له رؤس البلد وروساؤهم ففعلوا ذلك فلمّا عرضوا عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم النقرة التى باعكم خوارزم شاه فانّها لى ومن اخفى أُخذت وهى عندكم فاحضر كلّ من كان عنده شئ منها بين يديه ثمّ امرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجرّدين من اموالهم ليس مع احد منهم غير ثيابه التى عليه ودخل الكفّار البلد فنهبوه وقتلوا مَن وجدوا فيه واحاط بالمسلمين فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يومًا عظيمًا من كثرة البكاء من الرجال والنسآء والولدان وتفرّقوا ايدى سبا وتمزّقوا كلّ ممزق واقتسموا النسآء ايضًا واصبحت بخارى خاوية على عروشها كان لم تغنَ بالامس وارتكبوا من النسآء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيأً ممّا نزل بهم فمنهم مَن لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتّى قُتل ومنهم فعل ذلك

واختار ان يُقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانّهما لمّا رايا ما يُفعل بالحرم قاتلا حتّى قُتلا وكذلك فعل القاضى صدر الدين خان ومن استسلم أُخذ اسيرًا والقوا النار فى البلد والمدارس والمساجد وعذّبوا الناس بانواع العذاب من طلب المال ثمّ رحلوا نحو سمرقند وقد تحقّقوا عجز خوارزم شاه عنهم وتمكنه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم مَن سلم من اهل بخارى اسارى فساروا بهم مُشاة على اقبح صورة فكلّ مَن اعيا وعجز عن المشى قُتل فلمّا قاربوا سمرقند قدّموا الخيالة وتركوا الرجّالة والاسارى والاثقال وراءهم حتّى تقدّموا شيأً فشيأً ليكون ارعب لقلوب المسلمين فلمّا راى اهل البلد سوادهم استعظموه فلمّا كان اليوم الثانى وصل الاسارى والرجّالة والاثقال ومع كلّ عشرة من الاسارى علمٌ فظنّ اهل البلد انّ الجيع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزميّة واما عامّة البلد فلا يُحصون كثرةً فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلد والقوّة رجّالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمىّ احد لما فى قلوبهم من خوف هولآء الملاعين فقاتلهم الرجّالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتناخرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفّار قد كمنوا له كمينًا فلمّا جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولاً فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كلّ جانب فلم يسلم منهم احد قتلوا عن اخرهم شهدآء رضى الله منهم وكانوا سبعين الفًا على ما قيل، فلمّا راى الباقون من الجند والعامّة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكًا نحن من جنس هولآء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا ابواب البلد ولم يقدر العامّة على منعهم وخرجوا الى الكفّار باهلهم واموالهم فقال لهم الكفّار دفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابّكم ونحن نسيّركم الى ما منكم ففعلوا ذلك فلمّا اخذوا اسلحتهم ودوابّهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن اخرهم واخذوا اموالهم ودوابّهم ونساءهم فلمّا كان اليوم الرابع نادوا فى البلد ان يخرج اهله جميعهم ومن تاخّر قتلوه فخرج جميع الرجال والنسآء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارى